الإعتراضات على أُلوهيَّة المسيح وإثبات ألوهيَّته

مِن خلال هذا الإيمان بطبيعتَي المسيح يسوع غير المُنفَصِلَتين نفهم أيضاً تعابير السيّد المسيح البشريّة والإلهية في الإنجيل.

١-كَمِثْلِ قَولِهِ في طبيعتِهِ البشريّة:

"لماذا تدعوني صالحاً؟ لا صالح إلا الله وحده". **(لوقا ١٨/ ١٩). (متى ١٩/٢١)**

هذا كان جواب المسيح للشاب الغني الذي بِسَبَبِهِ قد يعتقد البعض أنّه قد أنكر ألوهيته.
لكن العكس هو الصحيح، فالمسيح يؤكِّد ألوهيته بهذا الجواب، إذ مِن خلاله يدعو الشاب الغني للنظر في الآثار المُترتِّبة على تصريحه.
-فهو يسأل الشاب: هل تُدْرِك ما تقوله عندما تَدْعوني صالحاً؟ الله وحده صالح، فهل تؤمن بأنني الله؟ وبالتالي هل سَتُطيعُني في كلِّ ما أسألك إيّاه؟ أم أنّ كلامك هو مِن باب المجاملة؟
قد كان من عادة اليهود إغداق الألقاب الإلهية على مُعَلميهم إحتراماً لهم، ولَكِن من دون أن يَعنوها حقاً. فأرادَ المسيح تبيان حقيقة مشاعِر هذا الشاب لذا سألَهُ بما معناه: هل تعني ما تَقولَهُ لي؟ هل تَفهَم ما تقولَهُ؟ أم أنَك تُطلَق عليَّ ألقاباً بلسانِكَ لكن قلبك لا يؤمن بها؟
لاحظوا لم يقل المسيح يسوع "لا تدعوني صالحاً، لا صالح إلا الله وحده"
لكن تساءل، وقال: "لماذا تدعوني صالحاً؟" أراد الرب أن يكشفَ صِدق إيمان هذا الشاب الغني، مِن كذب إيمانه.
"فالمسيح إذن لا يُنكِرُ أنَّه صالِح، بل يُريدُ لهذا الشاب أن يَفهَم أنَّه إن كان صالِحاً فهو الله."
(القديس جيروم ٣٤٧ م – ٤٢٠ م)

-كما أن المسيح وصَفَ نَفسَهُ **"أنا الراعي الصالح"** (يوحنا ١١/١٠)، والصَّلاح صِفة تُطلَق على الله وحده. فالراعي الصالح هو الله.

-ثُمَّ هناك آية ٢١ مِن إنجيل متى هي نَفسُها الآية ٢٢ مِن إنجيل لوقا، قالَها يسوع للشاب الغني، وهي قد تبدو بسيطة للقارئ اليوم، لكنَّها إعلاناً خطيراً بالنسبة لليهودي مِن القرن الأول لأنَّها لغة تَخُصُّ الله وحده: "إذا أردتَ أن تكون كاملاً، فاذهَبْ وَ**بِع جميع ما تَملُك**، وأعطِهِ للفقراء، فيكون لكَ كنزٌ في السماء، وتعالَ **إتبعني**"
في الفِكْرِ اليهودي "التَّخلّي المُطلَق" و "الإتّباع المُطلَق" يُعتَبَرُ ولاءً ألهيَّاً وحده الله يَطلبهُ مِن الإنسان. أيْ أن يَتركَ الإنسان كُلّ شيء ويُضحّي بكُلِّ شيء ليُكرّسَ حياتَهُ كُلّها لأجل الله، هذه ذروة الطلبات الإلهيَّة مِن الإنسان لأنَّ النَّفْسُ لا تُسلَّم إلا لله. فهذا طَلَبٌ إذن بسُلطانٍ إلهي.

-ولا نَنسى ما كان السؤال الأول الذي سألَهُ الشاب الغني للمسيح:
"ماذا أعمَل لأنالَ الحياة الأبديَّة؟" (آية ١٦ مِن متى و آية ١٨ مِن لوقا)
وكان جواب الرَّب النِّهائي والأخير، ليس فقط "إحفظ الوصايا" أو على عادة الأنبياء: "إتبَع الله" بل المسيح قال: **"إتبعني"** تماماً كما كان يَدعو الله في العهد القديم شعبه إلى إتِّباعِه.
بِقَوْلِهِ "إتبعني" أعلَنَ المسيح أنَّ الحياة الأبديَّة مرتَبطَة بشخصه. جَعَلَ مِن ذاتِهِ طريق الحياة. يسوع يَجعل مِن إتِّباعِهِ شرط الحياة الأبديَّة. والله وحده مَصدَرُ الحياة. يسوع إذن يَضَعُ نَفْسه في مكانة الله.
فالعبارة التي بَدَت كمشكلة تُثيرُ الشَّك: "لماذا تدعوني صالحاً؟ لا صالح إلا الله وحده"
إنتهَت بدعوة إلهيَّة تُثبِتُ ألوهيَّة المسيح: **"أُترُكْ كُلَّ شيئ" "واتبَعني"**. آمين.

٢- أو كَمِثْلِ قوله في طبيعته البشريّة " لا يَستطيع الإبن أن يفعلَ من عِنده/نَفْسِهِ شيئاً بل لا يفعل إلا ما يرى الآب يفعله، **فما فعله الآب يفعله الإبن على مثاله**". **(يوحنّا ١٩/٥).**

قال المسيح: "لا يَستطيع الإبن أن يفعلَ من عِنده/أو مِن نَفْسِهِ شيئاً" لا بمعنى العجز، بل كما نقول: الله لا يَستطيع أن يَكذب، **أو لا يَستطيع أن يَكره**، أو لا يَقدر أن ينكر ذاته.

فالإبن يستطيعُ كُلُّ شيء إلا شيئاً واحِداً، وهو أن تكون له إرادة مُخالِفة لإرادة الآب.

لنقرأ بعض الآيات التي تَسبَق، وتَلي مباشرةً الآية المذكورة أعلاه، لِنَفهَمَ بوضوح معناها ونردَّ على المُعترِضين والمُشكِّكين، فلا نكونَ على مِثالِهِم "شياطين الآية الواحِدَة" الذين يَقتصُّون الآيات مِن سِياقِها ليشرحونَها على هَواهِم:

"فقال لهم يسوع: **أبي** ما يزالُ يَعمَلُ إلى الآن، **وأنا أيضاً أعمل**. لهذا إزدادَ سَعيُ اليهود إلى قَتْلِه ليس فقط لأنَّه خالَفَ سُنَّة السبت، بل أيضاً لأنَّه قال إنَّ الله أبوه، فساوى نَفْسهُ بالله" (يوحنا ٥/١٧-١٨)

يَعتَرِفُ يسوع علانيَّةً أنَّ الله أبوه. فهو إبن الله بالطبيعة. ويُعلِنُ أنَّه يُديرُ الكَوْن ومسؤولٌ عنه، تماماً كما يُديرُ الله الآب الكَوْن، وكما هو مسؤولٌ عنه.

هذا إعلانٌ واضِح عن ألوهيَّة المسيح، لذا أراد اليهود قَتْلُهُ. فهُم أدركوا تماماً معنى أقوالِه واعتبروها تَجديفاً فاضِحاً الأمر الذي يَستوجِب الموت.

لنَشْرح الآن الآيات التي تَلي الآية ١٩ موضوع البحث:

"لأنَّه كما أنَّ الآب يُقيمُ الأموات ويُحيي مَن يَشاء، كذلك **الإبن أيضاً يُحيي مَن يَشاء**.

لأنَّ الآب لا يَدينُ أحداً، بل قد **أعطى كُلَّ الدينونة للإبن**، لكي **يُكْرِمَ الجميع الإبن كما يُكرِمونَ الآب**. فَمَن لا يُكْرِمُ الإبن لا يُكْرِمُ الآب الذي أرسَلَه" (يوحنا ٥/٢١-٢٣)

أولاً نُلاحظُ هنا أنَّ الإبن له نَفْس سلطان الآب، فهو يُحيي مَن يَشاء. فقدرة الإبن إذن إلهيَّة مُطلَقَة لأنَّها وحدها هذه القدرة تَمنح الحياة لمَنْ تَشاء لأنَّها مصدرها.

ثانياً نُلاحظُ هنا أنَّ الدينونة هي للأبن. وهذا يَفترض ألوهيَّته لأنَّه يَفترضُ المعرفة المطلقة والعدل المطلق والمحبَّة المطلقة ف الله وحده هو الدَّيان لأنَّه هو وحده عارفٌ ما في فِكر وقلب الإنسان.

ثالثاً نُلاحظُ هنا أنَّ للإبن نَفْس كرامة الآب، أيْ المساواة في العبادة. فكما يُعبَدُ الآب، يُعبَدُ الإبن أيضاً. ومَن لا يَعبدُ الإبن لا يَعبدُ الآب ولا يُكْرِمُه لأنَّ الآب والإبن ذاتٌ واحدة.

فالمسيح واحدٌ مع الآب في الجوهر. أيْ لهما الجوهر نفسه.
إذن مِن الواضِح مِن خلال هذه الآيات أن المسيح أعلَنَ هويَّتُه الإلهيّة. فهَل يا تُرى يُنكِرُها في الآية ١٩؟ عندما قال:

" لا يستطيع الإبن أن يفعلَ من عِنده/نَفْسِهِ شيئاً بل لا يفعل إلا ما يرى الآب يفعله، **فما فعله الآب يفعله الإبن على مثاله**". (يوحنّا ٥/١٩).

بالتأكيد لا. "فالمسيح لَمْ يَقُل "لا يَقدرُ الإبن أن يَعمَل" بل قال " لا يَقدرُ الإبن أن يَعمَل مِن نَفسِهِ". لماذا؟ لأنَّ الإبن مولودٌ مِن الآب. فكما أنَّ الإبن له الوجود مِنَ الآب، هكذا له العمل مِن الآب. ولكنَّ عمل الآب وعمل الإبن هو عملٌ واحِدٌ لأنَّ جوهرهما واحِد"

(القديس أوغسطينوس ٣٥٤ م- ٤٣٠ م)

المعنى هو: الإبن لا يَعمل مِن نَفْسِهِ أيْ لا يَعمَل بإستقلالٍ عن الآب لأنَّهما جَوهرٌ واحِد وإلا لكان هناك إلهان مستقلان عن بعضهما البعض. لذا فمن المستحيل أن يكون للإبن إرادة منفصلة في العمل عن إرادة الآب، أو تَنفصل أعمال الإبن عن أعمال الآب، فهناك توافُق فكري كامل بينهما، فمن غَيْر المُمكِن ان يُناقضُ الإبن جوهره.

لنأخَذ مَثَل الشمس ونورها: هل النور يَعمَل مِن نَفسِه بمعزلٍ عن الشمس؟ لا.

وكذلك الإبن لا يَعمَل بمعزلٍ عن الأب والروح القُدُس.

لكنَّ هل النور أقلّ مِن الشمس؟ لا. هو مِن طبيعتها. هكذا الإبن مولودٌ مِن الآب و مِن طبيعته لذا نُعلنُ في "قانون الإيمان" نورٌ مِن نور إلهٌ حَق مِن إله حَق مولودٌ غير مَخلوق.

"هل الشمس تَقدرُ أن تُنير بدون أن تولِدُ النور؟ هل النار تَقدرُ أن تَحرق بدون حرارة؟

قَوْلُهُ أنَّه لا يَقدر أن يَعمَل مِن نَفْسِهِ برهان على أنَّه إبنٌ بالطبيعة، لأنَّه لو كان غريباً عن جوهر الآب لكان يَقدر أن يَعمل مِن نَفْسِه. لكن لأنَّه مولودٌ مِن الآب، فعمله هو عمل الآب نَفْسُه.

لذلك أضاف: "فما فعله الآب يفعله الإبن على مثاله". مَن يَقدر أن يَعمل كلُّ ما يَعمله الله إلا مَن كان هو الله؟" (القديس أثناسيوس ٢٩٣ م-٣٧٣ م)

عدم الإستقلال إذن دليل البُنُوَّة الطبيعيَّة ودليل المساواة في الأُلوهة.

"لا يَنفي القُدرة، بل يَنفي الإنقسام" "فلو عمل الإبن شيئاً لا يعمله الآب، لكان هناك مشيئتان متضادان. لكنه يقول: فما فعله الآب يفعله الإبن على مثاله ليُظهر إتفاق الجوهر لا تَبعيَّة العبد لسيِّده. فالطبيب الأرضي قد لا يَقدر أن يَشفي كُلّ ما يَشفيه معلِّمُه،. لكنَّ الإبن يَقول:

كُلّ شيء. فهو إذن ليس تلميذاً، بل واحِداً مع معلِّمُه في الطبيعة"

(القديس باسيليوس الكبير ٣٢٩ م-٣٧٩ م)

فالآية واضحة إذن وتَعلِن قُدرة الإبن الإلهية، وتنفي عنه أيَّ ضُعف أو عَجْز لأنَّها تَنُصُّ:
"فما فعله الآب يَفعله الإبن على مثاله". فالإبن يفعل كُلّ أفعال الآب.
فللإبن نَفْس قدرة الآب.
هل يستطيع أحدٌ مِن البشر أن يقول: "كُلُّ ما يفعلُهُ الله أنا أيضاً أفعلُه مِثلُهُ تماماً"؟
طبعاً لا. لأنه إنسانٌ محدود القُدُرات. أما المسيح فلأنه الله نَسَبَ إلى ذاتِهِ أفعال الله.

هذا هو معنى هذه الآية إذن، الإبن كُلّي القُدرة تماماً كما الآب، ويستحيل عليه أن يفعل شيئاً ضد إرادة الآب، أو يطلب شيئاً مخالفاً لمشيئة الآب، لأنه والآب ذاتٌ واحدة، وجوهرٌ واحِد، لهما المشيئة نفسها، والإرادة ذاتها، والأفعال عينها.
لذا يستحيلُ كيانياً أن يفعل أيَّ أُقنوم أيَّ شيءٍ منفرداً، وبمعزلٍ عن الأُقنومين الآخرين وإلا لصارَ هناك ثلاثة آلهة.
فكُلُّ ما يريده الآب يريده الإبن، وكلّ ما يَفعله الآب يَفعله الإبن ويُريده ويَفعله روح القُدُس.
ونزيد فنقول أنَّ المسيح قال هذه الآية ليُعلِّمَنا محبة الآب وطاعته فلا نرفض مشيئتهُ ولا نخالفها، فهو المُعلِّم والقُدوة، ونحن التلاميذ.

٣- أو كَمِثْلِ قَولِه في طبيعته البشريّة:

"أما ذلك اليوم وتلك الساعة، فما مِنْ أَحَدٍ يَعْلَمُهما، لا ملائكة السماوات ولا الإبنُ إلا الآبُ وحده." (مرقس ١٣/٣٢)

قد يسأل البعض: كيف يُمكن أن يكون يسوع هو الله إن كان محدود المعرفة؟

فها هو يعلن صراحةً أنه يجهل ساعة الدينونة، أي ساعة عودته إلى الأرض!

في البدء نقول: إنَّ عدم معرفة، أو عدم إعلان يسوع ساعة مجيئه الثاني لا يُلغي ألوهيته.

فالتجسُّد لَم يُغيِّر أو ينتَقِص مِن طبيعة المسيح الإلهية بشيء.

الله لَمْ يتغيَّر بالتجسُّد. كما أوضحنا سابقاً ص١٦٠-١٦٢.

"الكلمة **صار** جسداً" (يوحنا ١/١٤) لا تَعني أنَّ الله الكلمة الأزلي عندما تجسَّد تحوَّل إلى إنسان أو صار بشراً. هذا ليس إيمانُنا.

إيماننا هو أنَّ الله، الشخص الإلهي الواحد، إتَّخَذَ له طبيعة بشرية، إتَّحَدَ بالطبيعة البشرية إتِّحاداً تاماً وكامِلاً ومطلقاً، بدون امتزاج ولا اختلاط اللاهوت بالناسوت. أَيْ ظلَّ اللاهوت لاهوتاً، والناسوت ناسوتاً. كُلُّ مِلْء اللاهوت، حَلَّ في طبيعة المسيح البشرية حلولاً جوهرياً، دون أن يَحوِّل هذا الحلول اللاهوت إلى ناسوت، ودون أن يَجعل هذا الإتحاد من الناسوت لاهوتاً، أو يُقلِّل مِن الطبيعتيْن بشيء. لَمْ تتحوَّل ولا واحِدة مِن الطبيعتيْن إلى شيء آخر، أَيْ لَمْ يُحوِّل اللاهوت الناسوت إلى إلهٍ مثله، ولَمْ يُحوِّل الناسوت اللاهوت الى إنسانٍ مثله.

ولكنهما بالتجسُّد إتَّحَدَا معاً إتِّحاداً جوهرياً كامِلاً تاماً ومَطلقاً بدون إنفصال.

ولكن أيضاً، الله الكلمة، الإبن الأزلي، بالتَّجسُّد:

"أخلى ذاته متخذاً صورة العبد وصار شبيهاً بالبشر وظهر في صورة إنسان" (فيليبي ٢/٧)

هذا ما يُعرَف في عِلْم اللاهوت ب أل **Kenosis** "**الإخلاء**" **أو** "**إفراغ الذات**".

نَعَم لله المعرفة المطلقة. ويَعلمُ كُلّ العلوم. فهو ليس بحاجة أن يَتَعلَّم أيّ شيء.

لكنَّ المسيح، بتَجسُّدِهِ، وبإتخاذه طبيعة بشريَّة، تَخلَّى طَوْعاً عن جزء مِن هذه المعرفة الإلهيَّة إذ أضافَ إلى شخصه الإلهي **"المعرفة الإنسانيَّة المُكتَسبَة"**.

لذا كان على المسيح في بشريَّتِهِ أنْ يَتعلَّم اللغة، ومهنة النجارة، وفَن العمارة وكان بشرياً "ينمو في الحكمة والقامة والنعمة" (لوقا ٥٢/٢) وإلا لا يكون إنساناً حقاً وبالكامل.

ولكن في الحقيقة، وفي الوقت نفسه نقول: أنَّ يسوع المسيح كان يَعلَمُ بالتحديد ومنذ البدء، قَبْل التجسُّد وبَعده، هويَّته الإلهيَّة ومَوْعَد مجيئه الثاني. لأنَّ **هذا "الإخلاء" لَمْ يُفقده المعرفة الإلهيَّة.** وهذا واضح في (لوقا ٤٩/٢) عندما يؤكِّد يسوع هويَّته ك "إبن الله". فهو لَمْ "يَكتَشِف" هذه الهويَّة فجأة أو لاحِقا، ولم تَكبَر أو تَنمو أو تتطوَّر فيه معرفته الإلهيَّة.

نحن نَعلَمُ عِلْم اليقين بالوحي الإلهي، أنَّ المسيح هو سيّد الساعة ودَيَّان البشر:

" لأنّ الآب لا يَدينُ أحدا بل أَوْلى القضاءَ كلَّه للإبن" (يوحنا٥/٢٢)

" فقال لهم يسوع (للرُسُل الإثني عشر): الحقَّ الحقَّ أقول لكم: أنتم الذين تَبِعوني، متى جلس إبن الإنسان على عَرْش مجده عندما يُجدِّدُ كُلّ شيء، تجلسون أنتم أيضاً على إثني عشر عَرشاً، لتدينوا أَسْباط إسرائيل الإثني عشر" (متى ٢٨/١٩)

"فسأله عظيم الكهنة: أأنت المسيح إبن المبارك؟ فقال يسوع أنا هو. وسوف ترون إبن الإنسان جالساً عن يمين القدير وآتياً في غمام السّماء. فشقّ عظيم الأحبار ثيابه" (مرقس ٦١/١٤-٦٤)

" وأيضاً يأتي بمجدٍ عظيم ليدين الأحياء والأموات" (قانون الإيمان الكَنَسي)

ثُمَّ المسيح حدَّثنا بالتفصيل في إنجيل (متى الفصل ٢٤) عن علامات ساعة الدينونة وما سيَحدُث قَبْلها، ثُم قال: " ثُم يأتي المُنتهى".

فكيف يُعقَل أن يَجهَل الساعة وهو عالِمٌ بكُلِّ تفاصيلها، وبلحظة حصولها؟

هل يُمكِن لشخصٍ ما أن يُعدِّد كُل الأشياء الموجودة على الطاولة، ولكن لا دراية له بالطاولة نفسها؟

الآب يفعلُ كُلّ شيء بالإبن: "به كان كُلُّ شيء" (يوحنا ٣/١)

وواحدة مِن تلك الأشياء هو تحديد الساعة، فكيف يجهلُ الإبن ما تمَّ تحديده بواسطته.

كما وإنَّ الإبن يعرف الآب: "لا احد يَعرِفُ الآب إلا الإبن" (متى ٢٧/١١)

فكيف للذي يعرف المعرفة الأعظم (الآب) أن يجهَل الأدنى (الساعة).
فالمسيح "مُدَّخَّرٌ فيه جميع كنوز الحكمة والعِلْم" (كولوسي ٣/٢)
"فكُلُّ شيء عريان ومكشوف لعيْنَيه، وله يجب علينا أن نؤدّي الحِساب" (عبرانيين ١٣/٤).
أَحَد هذه الأمور المكشوفة لعَيْنَي الرب يسوع، هي معرفة الساعة.

وتعليم الكنيسة الكاثوليكية فقرة ٤٧٤ يؤكِّد: "وكانت معرفة المسيح البشرية، بفضل إتِّحادها بالحكمة الإلهية في شخص الكلمة المُتجسِّد، **تَتمتَّع تمتُّعاً كاملاً بعِلْمِ المقاصِد الأزلية** التي جاء ليكشِف عنها. وما يعتَرِفُ بجهلِهِ في هذا المَجال،(كَمَثَل الآية موضوع بحثنا: مرقس ٣٢/١٣) يُعلنُ (المسيح) في موضع آخر أن ليس له أن يكشِفَ عنه".
("ليس لكُم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات"). (أعمال الرسل ٧/١)"
الأمر إذن له علاقة ب **عدم الإعلان** لا ب **عدم المعرفة**.
وهذا نَجده في كثيرٍ مِن النصوص الإنجيليَّة مَثَلاً نَجدُهُ في:
(متى ٢٧/٢١):
"فأجابوا يسوع وقالوا: **لا نَعلَم**. فقال لهم هو أيضاً: وأنا لا أقول لكم بأيِّ سلطان أفعلُ هذا" .
المسيح يَعلمُ تماماً مَصدر سلطانه الإلهي، ولكنَّه هنا لا يُريدُ إظهار أو إعلان مصدر هذه السلطة. فمِن الطبيعي ألا يَقول لهم "وأنا لا أعلم بأيِ سلطان أفعلُ هذا" فأجابهم: "وأنا لا أقول" كما أنَّ اليهود يَعلَمون إن كانت معموديَّة يوحنا المعمدان مِن السماء أم مِن الناس، ولكنهم لا يُريدون الإفصاح عن رأيهم فقالوا: "لا نَعلم". **فهذه العبارة لا تُفيد الجهْل**، بل تَعني الإحتفاظ بالمَعلومة إلى حين الإعلان عنها في الوقت المُناسِب.

أيضاً في (رؤيا ١٢/١٩): "وقد كُتِبَ على جَبهتِهِ.. إسمٌ **لا يَعرفُهُ أحدٌ سِواه**"
هل هذا يَعني أنَّ الله الآب والله الروح القُدُس لا يَعلمان الإسم المكتوب على جَبهة الإبن؟
طبعاً لا. بل هذه الآية تَعني أنَّ المسيح هو مَن يَحتفِظُ بإعلان وإظهار هذا الإسم في حينِهِ.
فالمعرفة تَبقى محفوظة في الذات الإلهيَّة إلى حين إعلانها عن طريق الرَّب يسوع.
في نَفْس السياق نَفهَمُ عبارة المسيح: "أما ذلك اليوم وتلك الساعة، فما مِنْ أَحَدٍ يَعْلَمُهما، لا ملائكة السماوات ولا الإبنُ إلا الآبُ وحده." (مرقس ٣٢/١٣)

لَم يَكُن مِن ضمن رسالة المسيح إعلام البشر بموعد القيامة العامة، لئلا يثير الذعر في قلوبهم، والبلبلة في أنماط حياتهم، ولأنَّ معرفتها يؤثِّرُ سلباً على سَهَرِنا الروحي. (مرقس ١٣/٣٣-٣٧) لذا أكَّدَ المسيح للتلاميذ أنَّ معرفة الساعة ليست مفيدة لهُم (أعمال الرُّسُل ١/٧).
رسالة المسيح كانت خلاص البشر، وقد أتمَّ هذا الخلاص على أكمل وجه. آمين.

٤-أو كَمِثْلِ قَولِه في طبيعته البشريّة:

"يا أبتي إن شئتَ فَلْتَجْزُ/فَلْتَعبُر عني هذه الكأس، ولكن لتكن مشيئتك لا مشيئتي".

(متى ٢٦/٣٩) (لوقا٢٢/٤٢)

يَسأل المُعتَرِض على أُلوهيَّة المسيح: إذا كان يسوع إله، لماذا يُصلّي؟ كيف يَطلُبُ مِن الآب؟ وكيف تكون له إرادة غير إرادة الآب؟ وكيف يَخاف مِن الموت؟ هذا يُثبِتُ أنَّه مجرَّد إنسان فقط.

السؤال الأول: لو كان إله فكيف يُصلِّي؟

يُصلِّي لأنَّه "رئيس كهنة" (عبرانيين ٥/٧)

ولأنَّه "الوسيط" بيْن الله والناس (١ طيموتاوس ٢/٥).

"مَن الذي يُصلِّي؟ الإنسان. لمَن يُصلِّي؟ لله. ففي المسيح تَجدُ المُتَضرِّع وتَجدُ المُستَجيب. يَتضرَّع بصورة العبْد، ويَستجيب بصورة الله. فلا تَتَعجَّب مِن صلاته، بل تَعجَّب مِن تَنازله الذي جعله يُصلِّي وهو الذي يُصلَّى له"

(القديس أوغسطينوس ٣٥٤ م- ٤٣٠ م).

فالمسيح كإنسان يُصلِّي عنا وبالنيابة عنا. لكنَّه كإله يَستَجيب الصلاة لذا قال:

"مهما سألتُم بإسمي فإني أفعله" (يوحنا ١٤/١٣)

ويا لهذه الصلاة الرائعة التي بها " يُحوّلُ المسيح إرادة الإنسان الطبيعية مِن الإعتراض إلى التعاون، إذ أنَّ مقاومة الطبيعة الإنسانية لله ماثلة بكُليَّتِها في يسوع نفسه. إنَّ عنادنا جميعاً وكُلُّ مقاومة الله موجودان هنا، ويسوع يَجذُب في جهاده، الطبيعة المُقاوِمة نحو العُلى، نحو ذاتها الحقيقية، وبذلك يعيدُ الإنسان إلى عظمته.

في هذا الشأن يقول الأخ الدومينيكي "كريستوف شونبورن: إن العبور مِن التعارُض بين الإرادتين إلى الشَرِكة بينهما يتحقَّق بصليب الطاعة. وقد تحقَّقَ هذا العبور في نزاع جتسماني.

وهكذا فإنَّ الصلاة: لا مشيئتي بل مشيئتك، هي فعلاً صلاة الإبن للآب، وفيها إنجذَبت الإرادة الطبيعية الإنسانية بكُليَّتِها إلى داخل "أنا" الإبن، الذي تمَّ التعبير عن جوهره بالقول:

"لا أنا بل أنت" في إستسلام "الأنا" الكُلّي إلى "الأنت"، إلى الله الآب. هذا "الأنا" قد تقبَّلَ في ذاته إعتراض الإنسانية، وحوَّله، بحيث إننا الآن جميعاً حاضرون في طاعة الإبن، الذي يُدخِلُنا جيعاً في حالة البُنوَّة " (البابا بندكتوس السادس عشر في كتابه: يسوع الناصري)

السؤال الثاني: لو كان إله فكيف تكون له إرادة غير إرادة الآب؟

إنَّ إرادة المسيح هي نَفسها إرادة الآب، مستحيل أن تناقض، أو تُعارِض، أو تقاوم مشيئة الآب لأنَّهما ذاتٌ واحدة.

فللمسيح يسوع طبيعتان وإرادتان. مَجمَع القسطنطينيَّة الثالث عام ٦٨٠ م حَسَمَ الأمر ضد بدعة "المشيئة الواحدة" Monothelitism إذ إعتَرَفَ:

"نَعتَرِف في ربّنا يسوع المسيح الواحِد بمشيئتَيْن طبيعيَتَيْن، وفِعلَيْن طبيعيَيْن غير مُنفصِلَيْن، غير مُتَغَيِّرَيْن، غير مُختلطَيْن. المشيئة البشرية (في المسيح) لا تُقاوِم بل تَخضَعُ للمشيئة الإلهيَّة الكُليَّة القُدرة"

فالمسيح إلهٌ كامِلٌ وإنسانٌ كامل وبالتالي له إرادة إلهيَّة، وإرادة بَشَريَّة دائماً أبداً تَتبَعُ وتُطيعُ المشيئة الإلهيَّة. وهذا ما نراه في (متى ٢٦/٣٩) إذ تَظهَرُ الإرادتَيْن معاً، وتَظهرُ طاعة الإرادة البشريَّة في يسوع للإرادة الإلهيَّة.

"لو لَم يَكُن له إرادة بشريَّة حقيقيَّة، لكانَ تجسُّده خيالاً. لكنَّه أَظهرَ الإرادة البشريَّة بقوله: "أبعِد عني"، وأظهَرَ خضوعها الكامل بقوله: "ولكن لا مشيئتي بل مشيئتك".

فصار طائعاً حتى الموت، وطاعتُهُ خلَّصتنا. ولو كان له مشيئة واحدة فقط فأين الطاعة؟ الطاعة تَقتَضي إرادتَيْن: واحدة تُطيع، وواحدة تُطاع"

(القديس مكسيموس المُعترِف ٥٨٠م– ٦٦٢م) الذي بسبب دفاعه عن عقيدة المشيئتَيْن، سُجِنَ، وعُذِّبَ، وقُطِعَ لسانُه، وقُطِعت يَدُهُ اليُمنى، ومات في المنفى.

"فالمسيح إتَّخَذَ إرادتنا ليَشفيها، وأطاعَ ليَشفي عصياننا"

(القديس غريغوريوس النزينزي ٣٣٠ م–٣٩٠ م)

السؤال الثالث: لو كان إله فكيف يخاف مِن الموت مِثلنا جميعا؟

مِنَ الطبيعي جداً للمسيح يسوع أن " يَشعُر بالرَّهْبَةِ والكآبة " في بستان الزيتون، وأن يقول لتلاميذه: "نَفْسي حزينةٌ حتى الموت". (مرقس ١٤/٣٣–٣٤)
وأن يرفَعُ "الدُعاء والإبتهال بصراخٍ شديد، ودموع ذوارِف إلى الذي بوِسعِه أن يُخلِّصه مِن الموت" (الرسالة إلى العبرانيين ٥/٧) لدرجةِ أنْ "تراءى له ملاكٌ مِن السماء يُشدِّد عزيمته" (لوقا ٢٢/٤٣)
فالمسيح بِحُكْمِ طبيعته البشرية، تَشبَّه بالإنسان في كُلِّ شيء ما عدا الخطيئة.
والإنسان يضطَّرِبُ بشِدَّة، ويَجزَعُ بأسى، ويقلقُ مذهولاً حائراً أمام الموت. لذا المسيح إضطَّرب. الموت ذلٌ. لا بل هو واقعٌ مؤلمٌ مُذِلٌ، يرفضه الإنسان، ومع ذلك يموت الإنسان خاضعاً له!.

لذا: "يسوع إبن الله، قد خَضَعَ هو أيضاً للموت، الذي هو خاصٌ بالوضع البشري. ولكنه، وبالرغم مِن جَزَعِهِ إزاءه، قَبِلَهُ في فِعل إستسلامٍ كُلّي وحُرٌ لمشيئة أبيه. إنَّ طاعة يسوع قد حَوَّلت لعنة الموت إلى بَرَكَة" (تعليم الكنيسة الكاثوليكية فقرة رقم ١٠٠٩)

فالخوف ليس خطيئةً وليس ضُعفاً، بل يُصبح خطيئة وضُعفاً إن قادَ إلى الجُبن. فالشجاعة لا تَعني عدم الخوف، بل تَعني القيام بما هو واجِبٌ وحَق بالرغم مِن وجود الخوف.
الخوف شعورٌ بشريٌ طبيعي تماماً كما الحزن، فالكآبة ليست خطيئة وليست ضُعفاً، بل تُصبح خطيئة وضعفاً إن قادت إلى اليأس.
المسيح إختبر "هَوْل الموت" لكنَّ هذا الخوف لَمْ يمنع المسيح مِن تأدية رسالته الخلاصية بشكلٍ كامل. لذا تعليم الكنيسة المُقدَّس يؤكِّد إنسانيَّة يسوع:
" فيسوع يصلّي: "يا أبتاه إن أمكَن فلتَجُزْ عني هذه الكأس" فهو يُعبِّرُ عن الهَوْل الذي يُمَثِّلُهُ الموت بالنسبة إلى الطبيعة البشرية... وهو بقبولِه في إرادته البشرية أن يتمَّ مشيئة الآب يَقبَلُ موته على أنَّه فِدائي لكي "يحمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة" (١ بطرس ٢/٢٤)
(تعليم الكنيسة الكاثوليكية فقرة رقم٦١٢)

فالمسيح يسوع "لَمْ يَخَفْ مِن الموت كإنسانٍ عادي، فكثيرٌ مِن الشهداء ماتوا فرحين. لكنَّه خافَ الكأس. أيُّ كأس؟ أن يَصير خطيئةً (أن يَحمَل خطايانا) وهو القُدّوس، أن يُحسَب مع الأثمة وهو البار. فإضِّطراب ناسوته هو برهان على حقيقة تجسُّدِهِ، لا على ضعف لاهوته" (القديس يوحنا الذَّهَبي الفَم ٣٤٧ م-٤٠٧ م عظة رقم ٨٣ في متى)

المسيح، عِبْرَ سِر الفداء، تَحَمَّلَ كُل نتائج خطايانا، و**أولى نتائج الخطيئة الموت!** لذا مات.
و**ثاني نتائج الخطيئة الخوف، والرَّهْبة مِن الموت.** لذا المسيح تَشَبُّها بنا، وبِكَوْنِهِ ممثِّلاً لإنسانيتنا، إختبر هذا الشعور ولكن بشكل مختلف وأعمق.
إذ أن رَهْبة يسوع مِن الموت، ليست **رَهْبةً من المجهول** كما هي الحال عند الإنسان، أيْ ليست هي رَهْبة مِن الموت بِحَدِّ ذاتِه، بل هي **رَهْبةٌ مِن المَعلوم** – كما سنوضِح بعد قليل- فالمسيح مُدركٌ تماماً ماذا سيواجه على الصليب لذا أبدى رهبته أمامه.

فالخوف كان الشعور الأول الذي أحَسَّ به آدم فَوْرَ عصيانه الله. لذا إختبأ وزوجته خلف أشجار الجَنَّة، هَرَباً مِن وجه الآب.

و**ثالث نتائج الخطيئة الكآبة والحزن**، للحال المُذرية التي صار عليها الإنسان بعد أن تّمرَّدَ على أبيه الحبيب. وشَعَرَ المسيح بهذه الكآبة فتنهَّدَ قائلاً: "نَفْسي حزينةٌ حتى الموت"

المسيح إختَبرَ هذه الحالات الإنسانية الثلاث، لآنه إنسانٌ كامل. شَعَرَ بما نَشعُر لأنه يُمَثِّلُنا بناسوتِه. فهو، كما صرخ عنا وبإسمِنا " إلهي إلهي لماذا تركتَني"، يَطلبُ الآن عِبْر صلاته: "يا أبتاه إن أمكَن فلتَجُزْ عني هذه الكأس، ولكن لتكن مشيئتك لا مشيئتي" أن يَبتَعِدُ عنا نحن البشر، كأس البُعْد عن الله بالخطيئة التي مِن طبيعتها الموت.

نَعَم. لقد شَعَرَ يسوع بالإضطراب الذي يَشعُرُ به الكائن البشري عند إقتراب الموت، وشَعَرَ بنفْسِ هذا الإضطراب أمام قبر أليعازر (يوحنا ٣٣/١١)، وحين أعلَنَ عن خيانة يهوذا الإسخريوطي له (يوحنا ٢١/١٣)

"ولكن ثمَّة هنا شيء أعظم، وهو الإضطراب الخاص الذي يحِسُّ به مَن هو الحياة عينها، أمام لُجَّة كُلّ سلطان الدمار والشر، ومقاومة الله التي تَغمُرُه الآن مباشرة، والتي لا بدَّ مِن أن يضطلعُ بها ويتقبَّلُها في ذاته. ولأنه الإبن، يستطيع ان يرى بوضوحٍ كُلِّي مَدّ الشر القذِر، وكُلّ الكذب، والكبرياء، وكُلّ الإحتيال وشراسة الشر المُقنَّع بقناع الحياة، والعامِل بإستمرار لتدمير الكائن، وتشويه الحياة وتدميرها. لأنه الإبن، يشعُرُ داخلياً بالرُعب، والقَرَف، والخداع الذي يتوجَّب عليه أن يشربه في هذه "الكأس" التي خُصِّصَت له، وفيها كُلّ سلطان الخطيئة والموت. عليه أن يَتقبَّل كُلّ ذلك في نفْسِه، بُغية أن يُجرَّدَ فيه مِن سلطانه وينْدَحِر.

إنَّ حُزن يسوع هو شيء أبعد وأعمق بكثير مِن أن يكون حُزناً عادياً يكتنفُ كُلّ إنسان يواجه الموت: إنه المجابهة عينها بين النور والظلمة، بين الحياة والموت، إنه مأساة القرار الحقيقية التي تَسِمُ التاريخ البشري. بهذا المعنى نستطيع أن نُطبِّقَ ما جرى في جبل الزيتون على أنفسنا شخصياً فيقول أحدنا: إنَّ خطيئتي أنا أيضاً كانت مسكوبة في كأس الرُعب تلك، ونسمع الكلمات

التي سمعها "باسكال" (فيلسوف فرنسي) مِن يسوع المُنازِع في جبل الزيتون: "إنَّ نقاط الدَّم تلك، قد سَكَبتُها مِن أجلِك". (البابا بندكتوس السادس عشر في كتابه: يسوع الناصري)

ونَجِدُ أنفُسَنا مُلزمين بالرغم مِن كُلِّ الحقائق التي ذكرنا أعلاه والمُختصَّة بناسوت وبشرية المسيح، أن نُعلِنُ حقيقة أُخرى هامة جداً تختص بلاهوت المسيح. **بشخص المسيح**، الواحِد في طبيعتين. وهي:

أنَّ مَنْ له الحياة في ذاته، ومَنْ له سلطان أن يبذل نفسه برضاه، وله سلطان على استرجاعها، ومَنْ يقيم الموتى بكلمة منه، لا يخشى الموت لأنه إله الحياة ومصدرها:

"فكما أنَّ الآب له الحياة في ذاته، كذلك أعطى الإبن أن تكون له الحياة في ذاته" (يوحنا ٢٦/٥)

"أبذل نفسي برضاي، وما مِن أحد ينتزعها مني فلي سلطان أن أبذلها ولي سلطان أن أنالها ثانيةً". (يوحنا ١٠/١٧-١٨)

"لعازر قُمْ" (يوحنا ١١/٤٣) "يا فتى، لك أقول قُمْ". (لوقا ٧/١٤)

"أخذ بيد الصبية فنهضت " " طاليتا قومي" أيْ يا صبية قومي.

(مرقس ٥/٤١) (لوقا ٨/٥٤) (متى ٩/٢٥)

إرادة الإبن هي نفسها إرادة الآب لأنهما واحد " أنا والآب واحد".(يوحنا ١٠/٣٠)

إرادة الإبن الإلهية هي نفسها إرادة الآب. وإرادة الإبن الإنسانية كانت دوماً خاضعة لإرادة الآب. فَمِنَ المُستحيل على الإبن أن يفعل شيئاً ضد إرادة الآب أو يطلب شيئاً مخالفاً لمشيئة الآب لذا قال "لا يستطيع الإبن أن يفعل شيئاً من عنده". (يوحنا ٥/١٩)

لذا فإنَّ طَلَبْ الإبن مِن الآب أن تَعبُرَ عنه كأس الصليب لا يَعنى أنه يرفض الفداء، إذ يَستحيل على المسيح أن يَطلب عدم خلاص البشر، لأنَّه بذلك يُخالِف مشيئة الآب، وهذا مستحيل.

إذاً السيد المسيح لَمْ يَعنِ بإبعاد الكأس إلغاء خلاص البشرية، أو درء الموت عنه. فالموت عن البشر مطلبه الأول، وهو ما أتى إلا لهذه الرسالة. وُلد ليموت لخلاص العالم فلا يُمكن أن يناقض نفسه بحجة أنَّ له طبيعة بشرية وهو القائل:

" عليَّ أن أقبَلَ معموديّة وما أشدَّ ضيقي حتّى تَتِم!" (لوقا ١٢/ ٥٠).

ثُمَّ، بالخوف مِن الموت، أيَّة رسالة روحيّة يريد الرب تقديمها لنا؟ أَنْ نَهابَ الموت نحن أيضاً؟ طبعاً لا. فهو إختَبَرَ رَهْبَة الموت، وحَزِنَ منه، لأنَّ هذه هي رَدَّة فِعْلِ الإنسان تجاه الموت.

ثُمَّ إنَّ إنجيل الرب منحنا السلام. وخلاصه قضى على الموت وقيامته مَنَحتنا الحياة الأبدية، فليس هناك مِن داعٍ أن نخاف مِن الموت؟.

فما هو معنى هذه الآية إذاً؟ **وماهي الرَهْبة التي شَعَرَ بها يسوع في بستان الزيتون؟**

"يا أبتي إن شئتَ فلتَجْزُ/فَلْتَعبُر عني هذه **الكأس**" يَتكلَّم يسوع عن "**كأس**"

ويَطلبُ مِن الآب أن تَعبُرَ عنه هذه الكأس بسرعة لأنها "كأس" مَهولَة. فما هي هذه الكأس؟

في الحقيقية يَتكلَّم المسيح عن ثلاث كؤوس مجموعة كُلّها في كأس الصليب.

الكأس الأولى: "كأس" غَضَب الآب المُقدَّس على الخطيئة المُهلِكة وللأبد للذات الإنسانية المخلوقة على صورته ومثاله:

فلفظة **"الكأس"** في العهدَيْن القديم والجديد، تعني **"كأس غضب الله":**

"مَن سَجَدَ للوحش...فسيَشرَب هو أيضاً مِن خَمرة سُخْطِ الله، مَسكوبَةً صِرفاً في **كأسِ غَضَبِهِ**.. ودُخانُ عذابِهِم يَتَصاعَدُ أبَدَ الدهور" (رؤيا يوحنا ١٤/٩-١١)

" لأنَّهُ هكذا قالَ لي الربُّ إله إسرائيل: خُذْ **كأسَ خَمْرِ الغَضَبِ** هذه مِن يدي واسقِها جميعَ الأُمَم التي أرسِلُكَ إليها...وقُلْ لهم: إشربوا...وإذا أبوا أن يأخذوا الكأسَ مِن يَدِك ليَشرَبوا، فقُل لهم:هكذا قالَ ربُّ القوات: بل تَشرَبونَ شُرْباً..." (إرميا ٢٥/١٥ – ١٧ و ٢٧ – ٢٨)

"لأنَّ **بِيَدِ الربِّ كأساً**... يَصُبُّ مِنها، وجميع أشرار الأرض...يَشرَبونها" (مزمور ٧٥/٩)

" تَيَقَّظي قومي يا أورشليم التي شَرِبَت مِن يَدِ الربِّ **كأسَ غَضَبِهِ**...هاءَنذا قد أخذتُ مِن يَدِكِ كأسَ التَّرنُّح، ثُمالةَ **كأسِ غَضَبي** فلا تعودينَ تَشرَبينه" (أشعيا ٥١/١٧ و ٢٢)

إذن "**الكأس**" التي يريد المسيح أن تَعبُر عنه بسرعة، هي "**كأس غَضَب الله**" الذي يُسكَب على الأشرار والخطأة نتيجة آثامهم التي دَمَّروا بها بإرادتهم، أنفُسهم والآخرين والعالَم.

وسيَشرَبون هذه الكأس إلى "أبَدَ الدهور" في جهنَّم.

المسيح على الصليب، سيَختَبِر بمِلْءِ كِيانه "**كأس جهنَّم**"، أيْ كأس غَضَب الآب على الخطيئة، هذا الآب الذي يُحِبُّهُ يسوع منذ الأزل وإلى الأبَد، هذا الآب الذي يُطيعُهُ يسوع منذ الأزل وإلى الأبَد، هذا الآب الذي لَمْ يُغضبه يسوع منذ الأزل وإلى الأبَدُ، يسوع على الصليب بإتِّخاذه بشريتنا، سَيَشْعُرُ بغَضَبِ الآب على الخطيئة والخاطئين، وهذا ما أثَّرَ في يسوع أكثر مِن أيِّ شيءٍ آخر، لذا طَلَبَ مِن الآب مساعدته على احتمال هذه الكأس، أن يَعبُرَ "**كأس غَضَبه**" عنه بسرعة.

"**كأس غَضَب الله**" هذا على الخطيئة، سيشربها يسوع عَنَّا وبَدَلاً مِنَّا، لأنَّه لَو لَم يَفعل ذلك، لكُنَّا نحنُ شَرِبنا هذه الكأس وللأبد: "ودُخانُ عذابِهِم يَتَصاعَدُ أبَدَ الدهور" (رؤيا يوحنا ١٤/١١).

رحمةً ومَحبَّةً بِنا، خَلَّصَنا يسوع مِن الخطيئة وآثارها التي هي الموت الروحي الذي يُسبِّب غَضَب الله. فتَحقَّقَت الآية: "هاءَنذا قد أخذتُ مِن يَدِكِ كأسَ التَّرنُّح، ثُمالةَ **كأسِ غَضَبي** فلا تعودينَ تَشرَبينه" (أشعيا ٥١/٢٢)

فشكراً لك يا يسوع، لِعِظَمِ مَحبَّتَكَ ورأفَتَكَ ورحمَتَكَ. لك المجد لأبدِ الدهور. آمين.

الكأس الثاني: كأس حزن الآب الشديد على كُلّ هالك ومُرتكِب خطيئة مِن أبنائه:

إن كان لأب خمسة أبناء وخَسِرَ واحداً مِنهم فأنَّه سيَشعر وللأبد بالحزن عليه.

فَفَرَحُهُ بوجود أبنائه الأحياء حَوْله، لن يُزيلَ حَسْرَته على إبنه المفقود.

لأنَّه هو الخروف الضَّال الذي قَضَى بَيْن الذئاب الخاطِفة ولَم يَعُد إلى حظيرة الآب.

إنَّه الإبن الضال الذي مات دون أن "يقومَ ويعودَ إلى أبيه". دون أن يَتوب.
مُقرّراً بإرادته الإنفصال الأبدي عن الآب ، مُفضّلاً "جهنَّم" الموت الروحي الأبَدي، على عِشْرَةِ رَبّ الحياة الأبديَّة.
يسوع على الصليب بإتّخاذه بشريتنا، سَيَشْعُرُ بهذا الحزن الأَبَوي الذي سَيُدمي قلبه المُتَّحِد بقلب الآب، لذا يَطلُبُ مِن الآب مساعدته على احتمال كأس الحزن هذه وعبورها عنه بسرعة.

الكأس الثالث: كأس إحتمال آلام وشرور وآثار ونتائج خطايا البشرية جمعاء: لا يَستهنَّ أحدٌ بما حَصَلَ على الصليب. على الصليب سَيَشعُرُ المسيح بكُلِّ ألَمٍ وبكُلِّ شَرٍ سَبَّبَته الخطيئة في كُلِّ مكانٍ وزمان منذ بدء الخليقة حتى المجيء الثاني.
على الصليب، سَيَدخُلُ المسيح إلى عمق أعماق بشاعة وشناعة وقباحة الخطيئة ويَشعُرُ بكُلِّ قَرَفِها وهو البار القُدُّوس. سَيَنحَدِر إلى هُوَّة العَدَميَّة التي يَتَخَبَّطُ بها كُلّ خاطئ وهو الرَّبُّ الإله.
كُلُّ جريمة، كُلُّ خيانة، كُلُّ إنكسار قَلْب، كُلُّ دمعة نَزلَت على خَدِّ أيِّ مظلوم،
كُلُّ حَرْب وما تُخلِّفه مِن مآسٍ على القاتِل والمَقتول وعائلته وَذَويه، كُلُّ عملية إجهاض
وما يُرافقها مِن آلام للجنين ولمُرتكبي هذه الجريمة، كُلُّ طلاق وما يُسبِّبُهُ مِن خَيبة أَمَلٍ للزوجَيْن وَوَجَعٍ لأولادهما، كُلُّ كَذِبٍ ورياءٍ وتزلُّفٍ وطَمَع، كُلُّ جُرحٍ خَلَّفَته الخطيئة في قَلْبِ كُلّ إنسان مِن آدم حتى آخر الزمان.
على الصليب سَيَشعُرُ المسيح كشخصٍ إلهي، بكُلِّ هذه "**العذابات الجهنَّميَّة**" وآثارها،
ويَتحَمَّل كُلّ نتائجها وعواقبها، ويَدفَع ثمنها بالكامِل عنّا بموته هو على الصليب.
إذن على الصليب سَيَشْعُرُ المسيح بكلِّ هذا الغَضَب الإلهي على الخطيئة.
وعلى الصليب سَيَشْعُرُ المسيح بحزنِ الآب يَبكي بنيه الهالكين بإرادتهم.
وعلى الصليب سَيَشْعُرُ المسيح كشخصٍ إلهي، بكلِّ هذه الآلام البشرية والإلهية التي وحده يستطيع تحمّلها بِعَوْن الآب.

لهذا كُلّه، يَطلبُ يسوع مُرور وعُبور هذه "الساعة" أو "الكأس" بسرعة.

وهكذا نَفْهَم عبارته: **"يا أبتي إن شئتَ فلتَجْزُ/فَلْتَعبُر عني هذه الكأس"**

وفي الوقت نفسه يعلِّمنا الرب، وسط العواصف والضيقات، وفي أحلك ظروف حياتنا، أن نَحتذي به ونظلُّ ننادي الله "يا أبتاه"، وأن نثق ثقة كاملة بالآب ونسلِّمُهُ ذواتنا بِكُليَّتها، لأنه الله الضابط الكُل. حياتُنا كُلُّها بين يديه.

وهكذا نَفْهَم عبارته **"ولكن لتكن مشيئتك لا مشيئتي"**. آمين.

٥-"إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (متّى ٢٧/٤٧)

يَتساءل المُعترِض: أليس هو الله؟ فكيف يصرخ إلهي؟ كيف يَصرخ الإله لإلهه؟ أليس هذا دليلٌ على أنَّه مخلوقٌ ومتروك؟

إن صرخة المسيح هذه على الصليب تحمل في طيّاتها أعظم القيم الروحية وأسماها. ولكن سرّها لا ينكشف إلا للفقراء بالروح، المُستعدين دوماً لتقبُّل إلهامات الرب وتعليم كنيسته بفرح وتواضع ووداعة.

المُعتدُّ بنفسه، والمعتاد على إجتزاء آية واحدة من النصوص الكتابية، وشَرْحها بمعزل عن النص بأكمله، إنما يفهم خطأً صرخة يسوع هذه ويسيء تفسيرها. إذ يعتقد خطأً أن المسيح صرخ: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" لأنه كان يمرُّ بحالة يأس شديد في آخر لحظات عمره. والسبب في ذلك هو أنّ الله الآب قد تخلّى عن إبنه وحَجَبَ وجهه عنه بسبب كَوْنه حامل خطايا العالم على الصليب. فالآب قدّوسٌ لا يقبل الخطيئة، فكيف يقبل إبنه وهو حامل كل خطايا البشر منذ آدم إلى نهاية الزمن على الصليب؟

هذا شَرحٌ مرفوضٌ مِنَ الكنيسة الكاثوليكيَّة الجامِعة المُقدَّسة الرسوليَّة كما سنرى.

أما مَنْ يقرأ النصوص الكتابية بكاملها ويشرحها بِكُلِّيتِها، فإنه سيصل إلى مفهومٍ مغايرٍ تماماً لمفهوم أصحاب الآية الواحدة المجتزأة.

والدليل هو التالي:

– إنّ المزمور ٢٢ الذي يبدأ بصرخة "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" هو صلاة. فالمسيح على الصليب كان يصلّي، ليعلِّمَنا في أشدِّ وأحلك ساعات المحنة أن نصلّي وأن نثق بالرب.

– كاتب هذا المزمور هو داوود المَلِك. وقد كتبه وهو في حالة حزنٍ شديد لشعوره بأنّ الله قد تركه، ونَبَذَهُ، وتخلّى عنه.

– يبدأ المزمور بصرخة ألمٍ وتركٍ ونَبْذْ. وينتهي برجاءٍ أكيدٍ مُفرحٍ ومُعَزٍ، بأنّ كلّ أُمم الأرض ستعرف الرَّب الإله وتعبده.

– في هذا المزمور، يَتَفوّهُ داوود بعبارات هي في الحقيقة نبوءات يستحيل أن تنطبق عليه.

" أنا..عارٌ عند البشر ومنبوذٌ من الشعب. جميع الذين يروونني يهزأون بي ويغفرون الشفاه ويهزّون الرؤوس..كالخَزَف جفَّ حلقي، ولساني لَصِق بفكي، وفي تراب الموت أضجعتني.

ثقبوا يديّ ورجليّ، وأحصوا كلّ عظامي. يقتسمون بينهم ثيابي، ويقترعون على لباسي."

هذه النبوءات كلّها تحقّقتْ بصلب السيد المسيح لا بداوود الملك.

فبصلاته هذه أراد الرب يسوع أن يلفت انتباه اليهود والعالم أجمع إلى أنّ نبؤات هذا المزمور فيه وحده قيلتْ، وبه وحده تحقّقت.

فالمسيح لا يصلّي هذا المزمور فحسب، بل يحقّقه أيضاً. وهذا روحياً في غاية الأهمية والمعنى.

– المزمور ٢٢ نفسه يدحض الرأي الخاطئ القائل بأنّ الله الآب قد ترك إبنه، وتخلّى عنه، وحَجَبَ وجهه عنه على الصليب. فالآب لَم يَحجب وجهه عن المسيح، بل حَجَبَ وجهه عن الخطيئة التي حَمَلها المسيح.

وهذا المزمور يؤكّد بوضوح تام، أنّ الله إستجاب حقاً لصلاة إبنه:

واقعياً بأنْ أقامه من بين الأموات. و**كتابياً** بأنّ كلّ أُمم الأرض ستعرف هويّة المسيح الرَّب وستَعبِده وتبشِّر كلّ الأرض بخلاصه:

" **لقد أَجَبْتَني**..فإنّه (الله) لم يَنبذ المسكين، ولم يَسْتَهِنْ أبداً بعنائه، **ولا حَجَبَ وجهه عنه،**

وإذا صَرَخَ إليه كان سميعاً" الآية ٢٥

" جميع الأُمَم تتذكّر الرَّب، وإليه تتوب، وجميع قبائل الأرض أمامه تسجد، لأنّ المُلك للرب وهو يسودُ الأُمَم. له يسجدُ جميع عظماء الأرض، وأمامه يجثو جميع الهابطين إلى التراب.. الأجيال الآتية ستُخبر عنه، وتُبَشِّر ببرّه الشعب الذي سيولد بما تمّ عن يده من خلاص"

الآية ٢٨-٣٠

فالمسيح بصلاتِهِ لهذا المزمور يُعلنُ أنَّ هذا المزمور فيه قد كُتِب، وبه وحده يَتحقّق الآن.

هو البار يَصرُخُ بلسان الأشرار الخطأة ليأخذَ مكانهم. فصرخته هذه هي:

"**إنجيل المَتروكين** بها يُؤكِّدُ المسيح: أنتم لستم متروكين، لأنَّني أنا المسيح حَمَلتُ تَرْكَكُم.

فيسوع صَرَخَ لأنَّه كان يَحمِلُ شَخْصنا. نحن الذين تَرَكْنا الله بالخطيئة، فصَرَخَ هو بصوتنا.

فصرخته هي صرخة الطبيعة البشريَّة كلّها المتروكة بسبب آدم. ولمَّا حَمَلَها، **سَمِعَ الآب صُراخ الإبن، فغَفَرَ لصُراخ العبيد.** ف "لماذا تركتني" صارت "لماذا قَبلتَني. فصرختُه هي صرختُنا، وموتُهُ هو موتُنا، وقيامتُهُ صارت قيامتنا."

(القديس هيلاري أُسقف بواتييه المُلقَّب ب "أثناسيوس الغرب" ٣١٠ م-٣٦٧م)

فصرخة يسوع على الصليب هي في الواقِع "دواء لا ضعف. وهي فداء لا هزيمة" إذ بها تَحَقَّقَ الخلاص. (القديس كيرللس الإسكندري ٣٨٠ م-٤٤٤ م)

فهل يطلب السائل أسمى من الوحي الإلهي، وحكمة آباء الكنيسة ليستريح في الحق ويريح؟

"إسألوا: مَن المُتكلِّم في المزمور؟ المسيح الرأس يَتكلَّمُ مع جسده الكنيسة. فالرأس يَصرُخُ مِن الألم، والجسد يَصرُخُ مِن الخطيئة. المسيح بلا خطيئة لكنَّه حَمَلَ خطايانا فتكلَّمَ بلساننا.

نحن نقول لماذا تركتني بسببِ ذنوبنا، وهو قالها بسببِ ذنوبنا التي حملها.

فالآب لَم يَتركه، بل تَركنا فيه، ثم قَبِلَنا فيه لمَّا قال: قد أُكمِل. فهذه الصرخة بدَّلت مصيرنا، فبعد أن كُنَّا المَتروكين، صرنا المَقبولين في المَحبوب"(القديس أوغسطينوس ٣٥٤ م- ٤٣٠ م) **إنَّها بِحَق صَرخة الخلاص مِن الخطيئة.**

"قال الرَّب: "لماذا تركتني" ليُعلنَ أنَّه حَمَلَ لعنتنا. ف"التَّرك" هو حَمْلِهِ لتَرْكِنا، لا أنَّ اللاهوت فارَقَه. لأنَّه كيف يُفارِق نَفْسه؟" (القديس إيريناوس ١٢٠ م-٢٠٣م)
وكيف يترك الآب الإبن، والإبن الذي قال: " أنا لست وحدي لأنَّ الآب معي" (يوحنا ٣٢/١٦)

"فمَن قال "لماذا تركتني" هو نَفسُهُ مَن قال: "بين يديك أستودعُ روحي".
"لماذا تركتني" هذا صوت الذبيحة التي تُقدَّم عن الخطيئة. فالذبيحة تُترَك للنار.
و "بين يديك أستودعُ روحي" هذا صوت رئيس الكهنة بعدما أكمَلَ الذبيحة، يُسلِّمها للآب.
فهو الحَمَل وهو الكاهن معاً. فلو لَمْ يَقُل: "لماذا تركتني" لما عِلِمنا أنَّه حَمَلَ اللعنة. ولو لَمْ يَقُل "بين يديك أستودعُ روحي" لما عَلِمنا أنَّ الذبيحة قُبِلَت"
(القديس كيرللس الإسكندري ٣٨٠ م-٤٤٤ م)
فهل يطلب السائل أسمى من الوحي الإلهي، وحكمة آباء الكنيسة ليستريحَ في الحقِّ ويُريح؟
وها عند أقدام الصليب تبدأ إستجابة الآب لصلاة إبنه:
فما أن " لفظ (السيد المسيح) الروح، إذا حجاب المقدِس قد انشقَّ شطرين من الأعلى إلى الأسفل (علامة مصالحة الله مع الإنسان وإعادة فتْح السماء أبوابها أمامه).. وتَفتّحت القبور، فقام كثيرٌ مِن أجساد القديسين الراقدين. وخرجوا من القبور بعد قيامته، (علامة قيامة المسيح وانتصاره على الموت) . وأما قائد المائة والرجال الذين كانوا معه..فإنهم لمّا رأوا الزلزال وما حدث.. قالوا كان هذا إبن الله حقاً" (متى ٥١/٢٧-٥٤)
ها هي الأمم الوثنية عند الصليب، تعترف بالرَّب يسوع رباً وإلهاً. محققة الآية ٢٨ من

"**مزمور الإستجابة**" كما تسمّيه بحق الكنيسة الحق، التي في تعليمها المقدَّس الفقرة ٢٦٠٦ كشفت معنى وسرّ صرخة يسوع على الصليب:

" جميع مضايق البشرية المستعبدة للخطيئة وللموت في كلِّ أزمنتها. وكلّ الطلبات والشفاعات في تاريخ الخلاص، مجموعةٌ في صراخ الكلمة المتجسد هذا وها هو الله يتقبَّلها.. (و) يستجيب لها بإقامة إبنه. وهكذا تتحقّق..الصلاة في تدبير الخلق والخلاص"

(تعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة فقرة رقم ٢٦٠٦)

كلّ خطيئة ارتكبها كلّ إنسان عبر كلّ عصرٍ وفي كلّ مكان. كلّ ألمٍ مسَّ كلّ إنسان منذ آدم حتى نهاية الزمن بسبب الخطيئة. كلّ وجعٍ إلهي مزّق قلب الآب بآثام بنيه وبناته، سيشعر به السيد المسيح على الصليب. وسيدفع الثمن المتوجب على الخطيئة لغفرانها بدمه. ويتحمّل نتيجة كلّ إثمٍ بملئه. ويعوِّض بكلّيته (جسداً ونفساً وروحاً) عن كلّ إساءة اقتُرِفَت في هذا الوجود؟.

فلا عَجَب أن يتراءى للمسيح يسوع "ملاكٌ من السماء ليشدِّد عزيمته في بستان الزيتون وأن يأخذه الجهد فيُمعِن في الصلاة وأن يصير عَرَقُهُ كقطرات دمٍ مُتَخَثِّر تتساقط على الأرض". (لوقا ٢٢/٤٣-٤٤)

فحين صرخ المسيح "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" إنما اختصر في صرخته كلّ آلام البشرية بسبب الخطيئة. فغَدتْ صرخته هذه صرخة كل بشريٍّ في بؤسه، وشقائه، وإحساسه بالترك والإهمال والنبذ والنسيان، حتى من الله بسبب خطاياه.

"إلهي إلهي لماذا تركتني؟" لا تعني إذاً أنَّ لاهوت المسيح قد ترك ناسوته. ولا أنَّ الآب قد ترك الإبن أو إنفصل عنه. إذ يستحيل على الآب أن يُفارق الإبن ساعة الصليب، أو يحجب وجهه عن إبنه:

– لأن هذا يدلّ على نقص في محبة الله الآب للإبن. فالأب البشريّ يساعد ابنه على حمل أثقاله، ولا يشيح بوجهه عنه، فكيف بالحريّ الآب السماوي؟

– لأنه يمسّ بوحدة الثالوث الكاملة والتامة التي لا انقسام فيها ولا انفصام، فالآب والإبن ذاتٌ واحدة بدون إنفصال ولا تَرْك ولا تجزّؤ. فنحن لا نستطيع إلغاء وجه من النقود والإبقاء على الوجه الآخر منها، فتظل نقوداً. فأريج الوردة لا يفارق الوردة نفسها، والمسيح أكّد، وقال:

"صدّقوني إنّي في الآب وإنّ الآبَ فيَّ". **(يوحنا ١٤/١١)**

إنّما هذه العبارة تعني أنّ الآب تَرَكَ الإبن يتحمَّل آلام البشرية جمعاء بسبب الخطيئة. وأن يتحمَّل الغضب الإلهي المقدّس على الخطيئة، والحزن الإلهي على الهالكين مِن أبنائه.

هذا من جهة النّفس، أيْ من الناحية النفسية.

أمّا من جهة الجسد، فقد تركه يحسّ بالعذاب ويشعر به.

كان مُمكِناً ألا يَشعر الإبن بآلام الصّلب بقوّة لاهوته. ولكن لو حَدَثَ ذلك لكانت عمليّة الصلب صُوَريّة. وبالتّالي، لم يُدفع ثمن الخطيئة بالألم، ولم تَتِمّ عمليّة الفداء.

فصرخة: "لماذا تركتني" هي أقوى دليل على حقيقة الفداء. **إنَّها صَرخة خَلاصيَّة بإمتياز**.

لو لَم يَصرخها، لشَكَكْنا هل حَمَلَ خطايانا فِعلاً؟

"المسيح إحتَمَلَ "التَّرك" لكي لا نُترَك نحن. وذاقَ الموت لكي لا نَذوقُهُ نحن، ولكي نَسكَرُ نحن مِن كأس الحياة، الحياة الأبديَّة" (القديس يوحنا الدمشقي ٦٧٥ م–٧٤٩ م)

فاللاهوت إذن لم يُسانِد الناسوت في أيّ لحظة ليَحمِل آلام المسيح، لأنَّ المسيح أرادَ أن يحمِل هذه الآلام بالكامِل لكي بواسطتها يُخلِّصُنا، وليُشابِهَنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة.

(عبرانيين ٤/١٥)

فالمسيح لم يَكُن من المفروض أن يتألم ويَموت، فالألم والموت ناتِجان عن الخطيئة. وَهُوَ بلا خطيئة، ولَكِن بإرادتِهِ أرادَ أن يتذوَّقَ الموت والألم ليصيرَ كواحدٍ منا ولِيُتِمَّ عَمَلُ الخلاص.

كلُّ هذا حصل بالإتّفاق بين الآب والإبن اللذين لهما نَفس المشيئَة.

لذا فالآب سَمَحَ للإبن بتحمُّل هذه الآلام، لأنَّ الإبن كان يحترق شوقاً لصلبه ولخلاص البشريّة:

كانت هذه مشيئة الإبن، فقَبِلَها الآب لأن لهما نفس المشيئة.

" عليّ أن أقبل معموديّة وما أشدّ ضيقي حتّى تتمّ!" (لوقا ١٢/ ٥٠).

وهو القائل أيضاً: "لتكُن مشيئتك." (متّى ٢٦/٣٩).

إذاً هذا التّرك كان باتّفاق وحبّ بين الآب والإبن، **ولم يكن تركاً "أُقنوميّاً"** على صعيد الطبيعة والجوهر والذات **بل تركاً "تَدبيريّاً"** لأجل خلاص البشرية.

لنفرض أنّ طفلاً إصطحبه أبوه لإجراء عمليّة جراحيّة له، وأمسكه بيديه، وبدأ الطّبيب بالجراحة، والطفل يصرخ من الألم: "لماذا تركتني يا أبي؟".

في الواقع الأب لم يتركه، لكنَّهُ ممسكٌ به بشدّة. قد تركَهُ للألم لفائدته وتركَهُ بحُب.

إنّ عبارة "تركتني" تعني أنّ آلام الصَلْب كانت آلاماً حقيقية، وآلام الغضب الإلهي كانت مُبرحة.

في هذا التّرك تركّزت كلّ آلام الصَلْب وكلّ آلام الفداء.

إنّ عبارة "لماذا تركتني" لم تكن نوعاً من الإحتجاج أو الشكوى إنّما كانت مجرّد تسجيل لآلام الإبن وإثبات حقيقتها وإعلاناً بأنَّ عمل الفداء سائر في طريق التَمام.

وتعليم الكنيسة الكاثوليكية فقرة ٦٠٣ يوضِح أنَّ صرخة المسيح هذه هي في الواقع صَرخَتُنا نحنُ عِبرَ المسيح.

فالمسيح بَصِفتِهِ، فادينا ومُمَثِلَنا أمام الله الآب عبر التجسُّد، صَرَخها نيابةً عنا كُلِّنا.

فنحنُ نشعُر بِتَرْكِ الآب لنا عندما نَرتَكِبُ الخطايا، والآب إحتراماً منهُ لإرادتنا، يتركنا.

ولقد شَعَرَ المسيح على الصليب بهذا التَّرك وتألَّم منه:

" **يسوعُ لم يُشجَب كما لو أنه ارتكبَ هو نفسُهُ خطيئة**. ولكن، في المحبّة الفِدائيّة التي كانت أبداً توحِّده مع الآب، **إتّخذنا**، في ضياع خطيئتنا بالنسبة إلى الله ، إلى حدٍّ أنه **استطاع أن يقول بإسمنا على الصليب: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟!"**(تعليم الكنيسة الكاثوليكية فقرة ٦٠٣)

إذاً هذه الصرخة المؤلمة التي أطلقها يسوع على الصليب إنّما هي صرخة البشريّة الخاطئة التي ابتعدت عن الله وتركته بسبب خطاياها. فدخلت في اختبار الموت الروحي الفظيع. وانفصلت عن الله مصدر حياتها. فالمسيح على الصليب بِكَوْنِهِ مُمثِّل البشريّة بناسوته، شعرَ بآلامها وآلام الآب على الخطيئة فأطلق صرختهُ عنّا : "إلهي، إلهي لماذا تركتني؟!"

آمين.

٦- "الآب أعظم مني". (يوحنا ١٤/٢٨)

يَقول المُعترض: إن الله هو أعظم الكائنات، فعندما يَعترف المسيح أنَّ الآب أعظم منه فهذا إعترافٌ عَلَني أنَّه ليس الله.

ونحن نُجيب:

"الآب أعظم لأنَّه أب، لا لأنَّه إلهٌ أكثر" (القديس غريغوريوس النزينزي ٣٣٠ م-٣٩٠ م)

الآب أعظم مِن الإبن لجهة الأبوة وكرامتها فالإبن، في حالة البُنُوَّة، في حالة مَنْ يُطيع.

والآب، في حالة الأُبُوَّة، في حالة مَنْ يَشاء ومَنْ يَطلُب.

ففي بُنُوَّتِهِ، أطاع المسيح الآب حتى الصليب مُحقِّقاً مشيئته بالكامل.

فالإبن البَشَري يُكْرِم أباه إن قال: أبي أعظم مني أو أبي أهمّ مني. فالأب أعظم مِن إبنه في المركز والمَكانة فقط.

إن هذا الإعلان لا يُنقِص مِن بشريّة الإبن أو مِن كرامته إذ ما تزال للإبن نفسٌ بشريّة وطبيعة والده وجوهره. هو إنسانٌ كأبيه مساوٍ له في الجوهر والطبيعة. وقد يكون للإبن الشكل عينَهُ وكذلك اللون والجنس وحتى فئة دمّ والدهِ، إلاّ أنه يقول ذلك إكراماً لأبيه وللأبوّة وللدلالة أنَّ الأب

أعظم مِن إبنه في المَركَزِ فقط، لا في الطبيعة والجَوهَر، كما أنَّ رب العَمَل هو أعظم مِن العامِلين لديه في المركز والمَكانة فقط، لا في الطبيعة البشرية.

إذن في الواقِع إن الآب ليس أعظم من الإبن لأنهما واحد في الجوهر والطبيعة واللاهوت ولا انقسام بينهما.

ففي هذا الفَصل بالذات يوحنا ١٤ يُعلنُ يسوع ألوهيَّتُه مُسبقاً وبوضوح فلا نُسيء فَهْم الآية ٢٨: " من رآني رأى الآب" (يوحنا ٩/١٤)، " صدّقوني، إني في الآب وأن الآب فيّ". (يوحنا ١١/١٤) فالآب والإبن ذاتٌ واحدة، طبيعة واحدة، وجوهرٌ واحِد.

"الحقَّ الحقَّ أقول لكم..كُلُّ شيءٍ سألتُم **بإسمي** أعمَلُهُ.. إذا سألتموني شيئاً **بإسمي فإني أعمَلُهُ**" (يوحنا ١٣/١٤-١٤) مَن يَستجِب لصلوات البشر في كُلِّ مكانٍ وزمان؟ اليس الله وحده؟

وفوراً بعد الآية ٢٨ يُكشفُ المسيح أنه يملُك المعرفة المُطلقة تماماً كالآب ليؤكَّد ألوهيته: " لقد أنبأتُكُم منذ الآن بالأمر قَبْلَ حدوثِهِ حتى إذا حَدَثَ تؤمنون" بأني أنا هو. (يوحنا ٢٩/١٤) ونقرأ أيضاً: "أنا والآب واحد" (يوحنا ٣٠/١٠)، "كُلُّ ما هو للآب هو لي". (يوحنا ١٠/١٧) "فيه يحلّ كُلّ مِلء اللاهوت حلولاً جسدياً ". (كولوسي ٩/٢)

"هُوَ شُعاعُ مجدِهِ وصورة جوهَرِهِ يَحفَظُ كُلّ شيءٍ بقوّة كَلمتِهِ: وفي الإبن يَقول: **إنَّ عرشَكَ يا الله لأبد الدهور** وصَولجانُ مُلكِكَ والإستقامة..وقالَ أيضاً: **أنتَ يا رَبُّ في البَدء أسَّستَ الأرض والسماوات هي صُنع يديك هي تَزول وأنتَ تَبقى،** وكُلُّها كالثَّوب تَبْلى، وطَيَّ الرِّداءِ تَطْويها وكالثَّوب تتبَدَّل، وأنتَ أنتَ وسِنوكَ لا تَنتَهي". (الرسالة إلى العبرانيين ٣/١-١٤)

ولكن لنتذكَّر دوماً نَص (فيليبي ٦/٢-٨) لنَفهمَ معنى هذه العبارة ومَثيلاتها:

"هو الذي في صورة الله لَمْ يعد مساواته لله غنيمة بل أخلى ذاته مُتَّخذاً صورة العَبْد صائراً على مِثال البشر وظَهرَ في هيئة إنسان"

المسيح على الأرض، في حالة "الإخلاء" "إفراغ الذات" KENOSIS. لذا لَم يَستَخدِم مجده الإلهي. وبالتالي فالمسيح بِحَسَبِ حالة "العَبْد" التي إتَّخَذَها بالتجسُّد، الآب أعظم مِنه.

ولكن بِحَسَبِ لاهوته، فهو مُعادلٌ لله (فيليبي ٢/٦) وواحِدٌ مع الآب (يوحنا ١٠/٣٠)

"قال: الآب أعظم مني، مِن حيث هو إنسان بالتجسُّد. وقال أنا والآب واحِد مِن حيث هو إله. لا تناقض." (القديس أوغسطينوس ٣٥٤ م- ٤٣٠ م)

"الآب أعظم مِن الإبن لا بإعتبار الجوهر أو الطبيعة، بل بإعتبار أنَّ الآب هو والِدُ الإبن.

لكنَّه ليس بأقلِّ مِنه لأنَّ له نَفْس الجوهر. "أعظم" لا تَعني مختلفٌ في الجوهر فهو قالها وهو في الجسد ولَمْ يَقُل: أبي أعظم مني لأني مِن جوهرٍ آخر. حاشا. فلو كان الآب أعظم مِن الإبن في الجوهر لماذا قال الإبن: أنا والآب واحد؟ هل الواحِد يكون أعظم مِن نَفْسِه؟ المعنى واضح: الآب أعظم مني أيْ أعظم مِن صورتي التي ترونها الآن صورة العبد المتألِّم. أما في صورة الله فأنا مُعادلٌ لله فيليبي ٢/٦ فلا تناقض بل إعلان لسر التجسُّد."

(القديس أثناسيوس ٢٩٣ م-٣٧٣ م)

هذا لا يَعني تفاوت في الطبيعة، بل ترتيب في العلاقة. كالشمس والنور: فالشمس هي الأصل. وهي نَجمٌ في السماء، ولكن نورها وبالرغم مِن وصوله إلى الأرض، يَبقى مِن نَفْسِ طبيعتها.

نَعَم الآب هو وحده المبدأ الذي لا مَبدأ له. والإبن مولودٌ مِنه. لكنَّ هذا لا يَعني أسبقيَّة زمنيَّة ولا تفوُّق في الجوهر.

"كيف يكون الآب أعظم وهو يقول: مَن رآني رأى الآب. هل الذي يَرى الأقل يَرى الأعظم؟

بل المعنى: أنا ذاهِبٌ إلى مجد الآب الذي هو في حالةٍ أعظم مِن الحالة التي تَرونَني فيها الآن. أنا الآن في الجسد، متألِّم، مُحتقَر. لكنَّ الآب في المجد. فافرحوا لأني ذاهبٌ إلى المجد الذي هو لي مُنذُ الأزَل. فالعظمة هنا عظمة المجد المنظور، لا عظمة الجوهر"

(القديس يوحنا الذَّهَبي الفَم ٣٤٧ م-٤٠٧ م)

وتؤكِّدُ الكنيسة في تعليمها المُقدَّس أنَّ:

"الآب هو ذاتُ ما هو الإبن، والإبن هو ذاتُ ما هو الآب، والآب والإبن هما ذاتُ ما هو الروح القُدُس، أيْ إلهٌ واحدٌ بالطبيعة" (تعليم الكنيسة الكاثوليكية فقرة رقم ٢٥٣)

"نؤمنُ... أنَّ الإبن مولودٌ مِن جوهر الآب بلا بداية قَبْل كل الدهور... وأنَّ الإبن مساوٍ للآب بِحَسَبِ اللاهوت، وأقل مِن الآب بِحَسَبِ الناسوت. مساوٍ للآب بِحَسَب الألوهة وأقل بِحَسَب الجسد. لأنَّه في صورة الله هو مساو للآب ، وفي صورة العبْد هو أقل مِن الآب"

(مَجمَع طليطلة Toledo الحادي عشر في إسبانيا عام ٦٧٥م)

إذن بِحَسَبِ ناسوته: الآب أعظم مِن المسيح، لأنَّ المسيح إنسان والله أعظم مِن الإنسان.

ولأنَّه في حالة الإخلاء والإتضاع على الأرض.

وبِحَسَبِ لاهوته: هو مساوٍ للآب، لأنَّ له نَفْس الجوهر الإلهي. فهو والآب واحد.

فما معنى هذه الآية إذن؟

المسيح قال إنَّ الآب أعظم منه لأنَّه تجسّد. **فبالتخصيص** "أخلى ذاته متّخذاً صورة عبِد " (فيليبي ٢/٧) فجاعَ وعطشَ وتعبَ ونامَ وبكى، ونما في الحكمة والقامة والنعمة (لوقا ٢/٥٢). وصَلَّى لأنَّه كإنسان كامِل عاش علاقة الصلاة المثاليَّة مع الآب.

فالتجسُّد يَعني أنَّه عاش بشريَّتِنا كاملة، والصلاة جزء مِن هذه البشريَّة.

وبالجسد وقعتْ على المسيح أفعال الضرب واللطم والجلد والصلب والموت والقيامة، ولم تقع على الآب. لأنَّ الآب لا جسد له "الله روح" (يوحنا ٤/٢٤) والروح لا يُصلب ولا يموت ولا يقوم من الموت. فالمسيح، بسبب التجسد، هو في صورة غير مُمَجَّدة وفي غير عظمة الآب الممجدة.

فمعنى الآية إذاً : **إنّ حالة أبي في مجده أعظم مِن حالتي في بشريتي.**

ولفَهْم هذه الآية أكثر يجب أن نضعها في سياق النص بأكمله. كما أوضَحَ سابقاً القديس يوحنا الذَّهَبي الفَم.

ففي هذا المقطع الإنجيلي يتوجّه الرب إلى تلاميذه قائلاً: أنتم الآن حزانى لأنني سأفارقكم وأُصلب وأموت، ولكني بهذه الطريقة سأفديكم من جهة، وأفدي العالم كلَّهُ وأُخلِّصكم جميعاً مِن سلطان الخطيئة والموت.

ومِن جهة أخرى بقيامتي سأُعيد إلى نفسي المجد الذي تخلَّيتُ عنه بإرادتي. هذا المجد الإلهي سيعود إليّ. إن كنتم تحبونني حقاً فافرحوا لأنني ماضٍ إلى أبي، إلى عظمتي ومجدي. ذلك المجد الذي كان ليَ "قبلَ إنشاء العالم" لأنني أزليٌ أبدي، ذلك المجد الذي تخلّيتُ عنه لأجلكم. أما الآب فبقيَ له هذا المجد، وفي هذا المعنى "الآب أعظم مني" (يوحنا ١٧/٥).

وفي هذا المجد نَفْسُهُ سيأتي المسيح ثانيةً ليدين العالم في مجيئه الثاني يوم الدينونة العامة. آمين.

٧-"إنّي صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم". (يوحنّا ٢٠/ ١٧).

يقول المُعترِض: هذا إعلانٌ فاضحٌ وواضِحٌ صادرٌ مِن فَمِ المسيح على أنَّهُ مخلوقٌ إذ له أب ولو كان الله الآب هو أبوه. والأهم مِن ذلك أنَّه يَعترف أنَّ له إله فكيف يكون هو الله؟

الجواب: لاحظوا لم يَقُل السّيّد المسيح "إنّي صاعد إلى أبينا وإلهنا" بل قال "إلى **أبي**".

فالمسيح إبن الآب بالطبيعة واللاهوت والجوهر لذلك دُعي في الإنجيل "الإبن الوحيد" (يوحنا ١٨/١) (يوحنّا ١٦/٣-١٨) (رسالة يوحنّا الأولى ٩/٤).

لا شبيه للمسيح بفرادته وخاصِيّته وعلاقته الأزليّة بالآب.

وقال "أبيكم" فنحن صرنا أبناء الله بالتبنّي مِن خلال موت يسوع المسيح وقيامتِهِ، وبِفعل محبَّتِه لنا والإيمان به.

"وإنّ الذين قبلوه وهم الذين يؤمنون باسمه فأعطاهم أن يصيروا أبناء الله" **(يوحنّا ١٢/١)**.

"أنظروا أيّ محبّة خصّنا بنا الآب لنُدعى أبناء الله...أيّها الأحبّاء نحن منذ الآن أبناء الله"

(رسالة يوحنا الأولى ٣/١-٢).

إذاً قال المسيح إنَّ الآب هو "**أبي**" بمعنى خاص، و"**أبوكم**" بمعنى آخر مختلف.

"ميّز بيْن الإثنين بحرف العطف "**و**" لَمْ يَقُل "أبينا" لئلا يَظنُّ أحدٌ أنَّ البُنُوَّة واحدة.

فهو "أبي" بالطبيعة، لأنَّني مولودٌ مِنه قَبْلَ كُلِّ الدهور. وهو "أبيكُم" بالنعمة، لأنَّكُم صرتُم أبناء بالتَّبنِّي.

وكذلك في اللاهوت: هو "إلهي" لأني إنسان، وهو "إلهكم" لأنَّهُ خالقكم مِن العَدَم.

فالبُنُوَّة مختلفة، والألوهة واحدة" (القديس أوغسطينوس ٣٥٤ م- ٤٣٠ م)

"لقد مَيَّزَ بُنُوّتُه مِن بُنُوّة تلاميذه فلَم يَقُل قط "أبونا" إلا عندما أمرهم قائلاً: فأنتم إذن صَلُّوا هكذا أبانا (متى ٩/٦). وقد شدَّدَ على هذا التمييز بقوله "أبي وأبيكم" (يو ١٧/٢٠)

(تعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة فقرة ٤٤٣)

مِن جهة إنسانيَّة يسوع المسيح، الآب هو إله يسوع المسيح.

لذا قال: هو "إلهي" في الطبيعة البشريّة. فالمسيح بَصِفتِهِ، فادينا ومُمَثِّلَنا أمام الله الآب عِبْرَ التجسُّد، غدا الآب إلهه، لأنَّ هذا الآب هو إلهُنا.

فالمسيح بإسمنا، بحُكْمِ كَوْنِهِ مُمَثِّلَنا بطبيعته البشرية، تَفوَّهَ بلفظة " إلهي".

فكما أنَّ للإنسان إله، فإنسانيَّة يسوع لها إلهٌ أيضاً. بالطبع المسيح هنا يتكلَّم كشخصٍ واحدٍ في طبيعتين.

فلا يجبُ أن نَنسى بأنَّ المسيح قد تخلّى عن مجده السماوي وأخذ صورة العبد في شبه إنسان، كما أوضحنا في فيليبي(٢/٧-٨).

فالمسيح إختبر التجسّد والجوع والعطش والتعب البشري وهذا ما لم يختبره الآب لأنه روح.

ثم إنه على جسد الإبن وقعت أفعال الفداء من جلْدٍ وصَلْب وموت وقيامة ولم تقع على الآب، لأنَّه روح ولا جسد له.

إذن "بِحَسَبِ اللاهوت: هو الله فلا إله له. بل هو قال: "أنا والآب واحد" (يوحنا ٣٠/١٠)

و "قَبْلَ أن يكون إبراهيم أنا كائن". (يوحنا ٥٨/٨)

وبِحَسَبِ الناسوت: هو إنسان كامل، والإنسان له إله. فهو عندما تجسَّد وأخَذَ طبيعتنا، صار الآب إلهه كما هو إلهنا." (مَجمَع طليطلة Toledo الحادي عشر في إسبانيا عام ٦٧٥م)

"فهل نَستَغربُ أن يَقول: "إلهي" مَن له طبيعتنا، بينما هو نَفسُهُ قيلَ عنه: "وكان الكلمة الله" (يوحنا ١/١) (القديس كيرللس الإسكندري ٣٨٠ م-٤٤٤ م)

"كُل طبيعة في المسيح تَعمَل ما يَخُصُّها مع شَرِكَة الأُخرى: الكلمة يَعمَل ما للكلمة، والجسد يَعمَل ما للجسد. فعندما يَقول: "إلهي" فالجسد يَتَكلَّم. وعندما يَقول: "أنا والآب واحد" فالكلمة يَتكلَّم. والمسيح واحِد وليس إثنيْن.

فالآية لا تَنفي لاهوته بل تُثبت تجسّده الحقيقي. فلو لَمَ يَقُل: "إلهي" لقُلنا أنَّه لَمَ يَصِر إنساناً حقاً" (البابا القديس لاوون الكبير ٣٩٠ م-٤٦١ م الرسالة إلى فلافيانوس.)

فالمسيح تَجَسَّد وبهذا الإختلاف البشري، دعا الله الإبن، الله الآب "إلهي".

والمسيح قال أيضاً "إلهي" و"إلهكم" بطبيعته الناسوتيَّة ليميِّز بين علاقتنا مع الآب، وعلاقته هو بالآب.

فهو كان يتكلم من الناحية البشرية لذا قال لمريم المجدلية:

"إذهبي إلى إخوتي" (يوحنا ١٧/٢٠). فهو سمَّانا "إخوة" لأنَّه "إشترك في لحمنا ودمنا" (عبرانيين ١٤/٢)

فالمسيح "شابَهَ إخوته البشر في كل شيء" في بشريَّتهم ما عدا الخطيئة، ليكفِّر عن خطاياهم (عبرانيين ١٧/٢).

وسمّاه بولس الرسول " إنساناً" في كلامه عن الوساطة بين الله والناس.

(الرسلة الأولى إلى طيموتاوس ٥/٢)

واستعمل التعبير عينَهُ في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثس ٤٧/١٥

كل ذلك لتأكيد بشريّة يسوع المسيح المتحدة بلاهوته.

"كُلُّ رئيس كهنة مأخوذٌ من الناس... لكي يُقدِّمَ قرابين...عن الخطايا" (عبرانيين ١/٥)

المسيح هو رئيس كهنتنا. (عبرانيين ١٤/٤) لذا يجب أن يكون:

إلهاً ليقدر أن يُصالحنا مع الله. **وإنساناً** ليمثلنا أمام الله. آمين.

وكما أنّ الطبيعة الإنسانية في المسيح قد ظهرت في وضوح في أقواله السابقة، كذلك فطبيعة المسيح اللاهوتيّة ظاهرة بوضوح أيضاً في أقواله وأعماله كُلّها.

نذكُرُ بعض الآيات الّتي تؤكِّد أُلوهِيَّة المسيح:

" **أنا هو**. إن لم تؤمنوا بأنّي **أنا هو** فأنتُم تموتون في خطاياكم". (يوحنّا ٢٤/٨)

" **منذ الآن أكلِّمُكم بالأمر، قبل حدوثه،** حتى إذا حَدَث تؤمنون بأني **أنا هو**" (يوحنا ١٩/١٣)

" قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (أي أنا هو). (يوحنا ٥٨/٨) المسيح أزلي.

إنَّ هذه اللفظة في العِبْرية هي: " أهيه أشير أهيه".

وهي الإسم الإلهي الذي أعطاه الله لموسى حين سأله عن إسمه في (سِفْرِ الخروج ١٤/٣)

وفي اللغة اليونانية التي كُتِبَتْ بها الترجمة السَّبعينيَّة والأناجيل هي : "Ego Eime"

وفي اللغة الإنكليزية هي: "I AM".

هذه اللفظة "أنا"، مذكورة بهذا المعنى ١٢ مَرَّة في إنجيل يوحنا:

"أنا القيامة والحياة مَن آمن بي وإن مات فسَيَحيا". (يوحنا ٢٥/١١)

المسيح شخصياً هو القيامة، والحياة الأبدية، ومَن يؤمن به لا يموت روحياً بل يحيا للأبد.

"أنا نور العالم مَن يتبعني لا يمشي في الظلام بل له نور الحياة". (يوحنّا ١٢/٨)
الجدير بالذكر أن القُرآن يُطلقُ صِفة النور على الله فقط:
"الله نور السماوات والأرض"(سورة النور الآية٣٥)

"أنا هو الطريق والحقّ والحياة". (يوحنا ٦/١٤) "الحَق" إسمٌ مِن أسماء الله الحُسنى في الإسلام، فالمسيح وحده يُعلن أنه الطريق الوحيد للسماء، وهو وحده الحقيقة الحَقَّة، وهو وحده حياة الله أيْ الحياة الأبدية. بدون المسيح، يحيا الإنسان الضَياع والضَلال والموت الروحي.
إذ لا طريق غيره، ولا حقيقة غيره، ولا أبدية بدونه وبغيره.
لا إبراهيم، ولا كونفوشيوس، ولا بوذا، ولا لاوتسو، ولا مُحمّد. المسيح وحده هو الحقيقة.
فهل إستطاع مُحمَّد أَمْ غيره مِن مؤسِّسي الديانات أن يُطلق على نَفْسِهِ إسم "الحقيقة"؟
وألا يَقرُّ القرآن أنَّ الله وحده هو الحق؟:
"الله هو الحق" (سورة الحَج الآية ٦ و ٦٢ وسورة لُقمان الآية ٣٠)

"أنا خُبز الحياة" (يوحنا ٣٥/٦) "أنا الباب" (يوحنا ٩/١٠)
"أنا الراعي الصالح (يوحنا ١١/١٠) "أنا الكرمة الحق" (يوحنا ١/١٥)
"أنا والآب واحد". (يوحنّا ٣٠/١٠) المسيح والآب ذاتٌ واحدة.
" أنا هو الألف والياء والأول والآخر والبداية والنهاية" (رؤيا يوحنّا ١٣/٢٢)
المسيح في هذه الآية يؤكِّد أُلوهيته، إذ يَنسِبُ إلى ذاته نَفْس الصفات التي أطلَقَها الله على ذاته في العهد القديم: "هكذا قال الربُّ مَلِك إسرائيل **وفاديه** ربُّ القوات: أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري" (أشعيا ٦/٤٤)
وأيضاً في القرآن: "هو الأول والآخر والظاهِر والباطِن وهو بكُلِّ شيءٍ عليم"
(سورة الحديد آية ٣)
فكيف لا يكون المسيح هو الله؟ ألا يَنسِبُ القرآن هذه الصفات نَفْسها إلى الله وحده؟

"مَن رآني رأى الآب: إنّي في الآب وإنّ الآب فيّ". (يوحنا ٩/١٤)

هل يجرؤ، أو هل تَجَرّأ أحدٌ مِن البَشَر أو الأنبياء على التفوُّه بِمِثْلِ هذه الأقوال؟

لماذا؟ لأنَّهم بشراً وليسوا الله.

"من رآني رأى الذي أرسلني". (يوحنا ٤٥/١٢)

"كُلُّ ما هو للآب هو لي". (يوحنا ١٠/١٧) وللآب المعرفة المُطلقة والقدرة اللامُتناهية والمَحَبة الكاملة وهذه الصِفات كُلّها للمسيح أيضاً.

"أنتم مِن أسفل وأنا مِن فوق أنتم مِن العالم وأنا لست مِن العالم". (يوحنا ٢٣/٨) أصلُه سماوي.

"مَن يحفظ كلامي لا يرى الموت أبداً". (يوحنا ٥١/٨)

"مَن مِنكم يستطيع أن يُثبت عليّ خطيئة". (يوحنا٤٦/٨) مَن هو بلا خطيئة إلا الله.

"مجِّد إبنَك ليمجِّدَك إبنُك بما أوليته مِن سلطان على جميع البشر" (يوحنا ١/١٧-٢)

من له سلطان على جميع البشر إلا الله وحده؟

كان اليهود يُطلِقون على الله لفظة "سَيِّد السبت" لأنه سَيِّد الشريعة.

"إبنُ الإنسان سَيِّدُ السبت" (متى ٨/١٢) (لوقا ٥/٦) (مرقس ٢٨/٢)

مَن هو ربُّ السبت؟ أليس هو كاتب الشريعة ومُلهِمُها؟

وها هو المسيح، بإطلاقه نَفْس اللقَب على نَفْسه، يُعلِنُ أنَّه هو الله لأنَّه سَيِّدُ الشريعة والنَّاموس. فالمسيح كان يكلِّم اليهود لا العَرَب ليقول حرفياً: "أنا الله". لقد كانت رسالته مع اليهود، وأهَم الأسماء لله عندهم هي: "يهوه"، "الرب/أدوناي"، و سَيِّد السبت". والمسيح نَسَبَها جميعاً إليه. واليهود فَهموا كلامه جَيِّداً وبِكُلِّ وضوح، وكذلك نحن المسيحيون. المشكلة ما زالت مع المسلِمين.

"هاأنذا معكم طوال الأيام إلى نهاية العالَم" (متى ٢٠/٢٨)

"حيثما إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمي أكون هناك في وسطهم" (متى ٢٠/١٨)

المسيح كُلّي الوجود. حاضِرٌ في كُلِّ مكانٍ وزمان.

وهذه الآية الإنجيلية الأخيرة، إقتبسها القرآن مِن الإنجيل ونَسَبَها لله نَفْسه لِيَصِفَ بها كُلّية وجود الله: "ما يكون مِن نَجوى (حديثٌ في السِر) ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى مِن ذلك ولا أكثر إلا هو معهم" (سورة المُجادَلة الآية ٧)

فإذا قالها المسيح عن نفْسِه، ألا يكون هو الله بالذات بشهادة القُرآن؟

" إني أوليتُ كُلَّ سُلطانٍ في السماء والأرض" (متى ١٨/٢٨) سُلطان المسيح سُلطانٌ مُطلَق.
" لا تحلفوا أبداً لا بالسماء فهي عرش الله، ولا بالأرض فهي موطِىء قدميه" (متى ٣٥/٥)
المسيح وطأ الأرض بقدميه حين تجسَّد، فهذه الآية تعلن أنه الله.
" لا تُجرِّبْنَ الربُّ إلهك" (متى ٧/٤). المسيح كان المجرَّب مِن الشيطان، فهو إذن الربُّ الإله.
وعندما أَمَرَ يسوع الشيطان بالذهاب"إذهب عني يا شيطان" الآية ١٠ أطاعَهُ الشيطان وذَهَب.
"ثُمَّ تركه إبليس" الآية ١١
"هاأنذا أُرسِلُ لكم أنبياء وحكماء وكَتَبَة، فبعضهم تقتلون وتصلبون،وبعضهم في مجامعم تَجلِدون.."
مَن يُرسل الأنبياء إلا الله؟ ها هو لوقا البشير يؤكِّد هوية مُرسِل الأنبياء:
"ولذلك قالت **حكمة الله**، سأرسِلُ الأنبياء والرُسُل،وسيَقتُلون منهم ويَضطهِدون.." (لوقا ٤٩/١١)

"فكما أن الآب يُقيم الموتى ويُحييهِم فكذلك **الإبن يُحيي مَن يشاء**. لأنَّ الآب لا يَدينُ أحداً بل أولى **القضاء كُلَّه للإبن**" (يوحنا ٢١/٥-٢٢)
مَن يُقِم الموتى ومَن يَدِنْ البشر أليس الله وحده؟
"كما أنَّ **الآب له الحياة في ذاته** فكذلك أعطى **الإبن** أن تكون **له الحياة في ذاتِه**" (يوحنا ٢٦/٥)
مَن له الحياة مِن ذاتِه؟ ومَن هو مصدر الحياة ومُعطيها؟ أليس الله بذاتِه؟
"ستأتي ساعةٌ يَسمعُ فيها جميع الذين في القبور صوته (صوت إبن الله) فيخرجون منها"
(يوحنا ٢٨/٥-٢٩) صوتُ مَنْ تسمع الأموات فتقوم للدينونة؟ أليس صوت الله؟
"فأقولُ لكُم إنَّ هَهُنا أعظم مِن الهيكل" (متّى ٦/١٢)

مَن هو الذي أعظم مِن الهيكل؟ أليس إله الهيكل؟

"وهَهُنا أعظم مِن يونان" (متّى ١٢/٤١)

"وهَهُنا أعظم مِن سُليمان" (متّى ١٢/٤٢)

مَن هو الذي أعظم مِن الأنبياء والملوك؟ أليس هو صانع الأنبياء والملوك؟

"وأعطاهُم سلطاناً يَطرُدون به الأرواح النجسة ويَشفون الناس مِن كُلِّ مَرَضٍ وعِلَّة" (متَّى ١٠/١)

مَن يعطي البشر السلطان لإجتراح المعجزات؟ اليس الله وحده؟

"مَن أرادَ أن يَتبَعَني ولَمْ يُفضِّلُني على أبيهِ وأُمِّهِ وبَنيهِ وإخوتِهِ، بل على نَفْسِهِ أيضاً، لا يَستطيع أن يكون تلميذاً لي" (لوقا ١٤/٢٦)

وحدُهُ الله لا غَيْر، يستطيع ان يَطلبَ مِن الإنسان "الإتِّباع المُطلَق" أن يُحِبَّهُ أكثر مِن عائلتِه وحتى أكثر مِن نَفْسِه! لأنَّه الخالِق.

وعلى الرغم مِن كُلِّ هذه الدلائل التي ذكرناها والتي تُثبت ألوهية المسيح، وبُنُوَّة المسيح الإلهية فإننا نرى القرآن يُنكِر هذه البُنوّة مِن دون تقديم أي دليل.

وإننا لا نزال نرى شيوخ الإسلام وأَئِمَّتِهِ حتى اليوم يتساءلون: أين ذَكَرَ الكتاب المُقدَّس أنّ المسيح إبن الله؟ ومتى قال المسيح عَن نَفْسِهِ أنّه الله؟

- الله الآب إعترف أنّ المسيح هو إبنه بالطبيعة الإلهية:

"وإذا صوتٌ من السماوات يقول هذا هو إبني الحبيب الذي عنه رضيت" (متّى ٣ /١٧).

"وإذا صوت من الغمام يقول هذا هو إبني الحبيب الذي عنه رضيت فله اسمعوا" (متى ١٧/٥).

"يا أبتي مجِّد اسمك. فانطلق صوت من السّماء يقول قد مجّدته وسأمجّده" (يوحنا ١٢/٢٨).

"إنَّ الله بعدما كَلَّمَ الآباء قديماً بالأنبياء.. كَلَّمنا في آخر الأيام في إبنه الذي جَعلَهُ وارثاً لكُلِّ شيء وبه أنشأ العالمين. هُوَ (الإبن) شُعاعُ مجدِهِ وصورة جوهَرِهِ يَحفَظُ كُلّ شيءٍ بقوّة كَلمتِهِ،..وأيضاً متى أدخَلَ (الله) البِكْرَ إلى العالم يقول (الله) **ولتسجُد له كَلُّ ملائكة الله**.. وفي الإبن يَقول (الله): **إنَّ عرشَكَ يا الله لأبد الدهور** وصَولجانُ الإستقامة صَولجان مُلكِكَ..وقالَ أيضاً (الله): **أنتَ يا رَبُّ**

في البَدء أسَّستَ الأرض، والسماوات صُنع يديك. هي تَزول وأنتَ تَبقى، وكُلُّها كالثَّوب تَبْلى، وطَيَّ الرِّداءِ تَطْويها وكالثَّوب تتبَدَّل، ولكن **أنتَ أنتَ**، (أنت هو) **وسِنوكَ لا تَنتَهي**".

(الرسالة إلى العبرانيين ١/١-١٤).

الله الآب نفْسُهُ يُخاطِب إبنه يسوع المسيح بألقابه الإلهية نفْسها: **"يا الله. يا رب"** وهي إقتباسٌ حَرْفي للمَزمور ٤٥/٧-٨. والمَزمور ١٠٢/٢٥-٢٧) و (يوحنا ١/٣) و(كولوسي ١/١٦-١٧) ويُعلِنُ الآب أنَّ الإبن هو الخالِق الذي لا يتغيَّر.

ويطلُبُ مِن الملائكة أن تَعبُدَهُ بِسُجودها له. إذ لا سجود عبادة إلا لله وحده: (أشعيا ٤٥/٢٣) (مَزمور ٨١/٨-٩) (رؤيا يوحنا ٥/٦-٨) فكُلُّ السجود والعبادة التي للآب هي أيضاً للإبن لأنه: "كُلُّ ما هو للآب هو لي" (يوحنا ١٦/١٥ و ١٧/١٠)

لذا **في ميلاد المسيح سَجَدَ المجوس له:** (متى ٢/٣ و ٢/١١)

في حياة المسيح وخدمته سَجَدَ البشر له: (متى ٨/٢ و ٩/١٨ و١٤/٣٣ و١٥/٢٥ و ٢٠/٢٠)

بعد قيامة المسيح مِن الأموات سَجَدَ البشر له: (متى ٢٨/١٧ و ٢٨/٩) (لوقا ٢٤/٢٥)

بعد صُعود المسيح إلى السماء سَجَدَ البشر له: (لوقا ٢٤/٥٢)

وإلى الأبد كُلُّ رِكبة في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض سَتَجسُد للسيِّد المسيح:

(فيليبي ٢/١٠)

- الملاك جبرائيل إعترف أنّ المسيح هو إبن الله: "لا تخافي يا مريم فستحملين وتلدين إبناً فسمّيه يسوع. سيكون عظيماً وابن العليّ يُدعى ويَملُكُ على بيت يعقوب أبَدَ الدهر. إنّ الروح القُدُس سينزل عليك وقدرة العلي تظلّلك. ولذلك **يكون المولود قُدّوساً وابن الله يُدعى**"

(لوقا ١/٣٠-٣٥)

- الشيطان نفسه وملائكته أنفسهم إعترفوا أنّ المسيح إبن الله:

"ما لنا ولك يا يسوع الناصري أجئت لتَهلكنا؟"

"أنا أعرفُ مَن أنت. **أنتَ قُدّوس الله**". (مرقس ١/٢٤)

" **ما لنا ولك يا ابن الله** أجئت إلى هنا لتعذِّبنا قبل الأوان" **(متّى ٢٩/٨)**

"فدنا منه المجرِّب وقال له: إن كنتَ إبن الله فَمُر أن تصير هذه الحجارة أرغفة.. "

"إن كنتَ إبن الله فألقِ بنفسك إلى الأسفل". **(متّى ٣/٤ و ٦/٤)**

- يوحنّا المعمدان إعترف أنّ المسيح هو إبن الله "الذي أرسلني أعمّد في الماء هو قال لي إنّ الذي ترى الروح ينزل فيستقرّ عليه هو ذاك الذي يُعَمِّد في الروح القدس. **وأنا رأيتُ وشَهَدتُ أنّه هو إبن الله**" **(يوحنا ٣٣/١-٣٤).**
- بطرس رئيس الرسل إعترف أنّ المسيح هو إبن الله:

"فقال لهم (يسوع) ومَن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب سمعان بطرس: **أنت المسيح إبن الله الحيّ**". **(متّى ١٥/١٦-١٦)**

"إلى الذين نالوا مِن فَضْلِ **بِرِّ إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح** " (الرسالة الثانية ل بطرس ١/١)

- بولس الرسول إعترف بألوهيَّة يسوع المسيح:

"ومنهم **المسيح** مِن حيثُ أنَّه بَشَر، وهو فوق كُلِّ شيءٍ **إلهٌ مباركٌ أبَدَ الدُّهور**.آمين."

(الرسالة إلى أهل روما ٥/٩)

- توما الرسول إعترف بألوهيَّة يسوع المسيح:

"أجابه توما: **ربّي وإلهي**" **(يوحنا ٢٨/٢٠)**

وهذان التعبيران "أدوناي إلوهيم" لا يطلقهما اليهودي المُوَحِّد إلا على الله "يهوه" فقط.

والدليل: "إقْضِ لي بِحَسَبِ بِرِّكَ أيُّها **الرَّب إلهي**" (مزمور ٢٤/٣٥)

- يوحنا كاتب سفر الرؤيا إعترف أنّ المسيح هو إبن الله :

"**إليك ما يقول إبن الله**" **(رؤيا يوحنّا ١٨/٢)**

- الرسول نثنائيل إعترف أنّ المسيح إبن الله :

"أجابه نثنائيل: رابي **أنت إبن الله** أنت ملك إسرائيل". **(يوحنا ٤٩/١)**

- التلاميذ كلّهم إعترفوا أنّ المسيح هو إبن الله:

"فسجد له الذين في السفينة وقالوا: **أنت إبن الله حقا**". **(متى ٣٣/١٤)**

- مرتا أخت مريم وأليعازر الّذي أقامه من الموت إعترفت بأن المسيح هو إبن الله:

"نَعَم يا ربّ **إنّي أؤمن بأنّك المَسيح إبن الله** الآتي إلى العالم". **(يوحنّا ١١/٢٧)**

- قائد المائة الروماني الوثني ومعه رجاله الوثنيّون إعترفوا أنّ المسيح هو إبن الله:

"وأمّا قائد المائة والرجال الذين كانوا معه يحرسون يسوع فإنّهم لمّا رأوا الزّلزال وما حدث خافوا خوفاً شديداً وقالوا: **كان هذا إبن الله حقّاً**". **(متّى ٢٧/٥٤)**

- المسيح نفسه يشهَدُ ويعترفُ أنَّه الله عِبْرَ إستخدامه لَقَب "الرَبّ"، و"إبن الله" و"إبن الإنسان":

-لَقَب "الرَّبُّ": "**أنا الرَّبُّ هذا إسمي** ولا أعطي مَجدي لآخر" (أشعيا ٤٢/٨)

إسمُ الله هو "الرَّبّ". لفظة "الرَّبُّ" مع أل التعريف تُطلَق على الله وحده فقط.

وها هو يسوع يُطلِقُها على نَفْسِه ليُعلِنَ ألوهيَّتُه:

"فَلَمْ يأذَن له، بل قال له: إذهب إلى بيتك إلى ذويك بكُلِّ ما صَنَعَ **الرَّبُّ** إليك. فمضى وأخذ ينادي في المُدُن العشْر بكُلِّ ما صَنَعَ **يسوع** إليه" **(مرقس ٥/١٩-٢٠)**

لَمْ يَسمح يسوع للمسوس الذي شفاه أن يَصحَبَه، بل أَمره أن يُخبِر بما صَنع الربُّ إليه. لفظة "الربُّ" مع أل التعريف تُطلَق على الله وحده فقط. والبرهان أنَّ "الرَّبّ" هنا تعود إلى يسوع الناصري نفسه، أنَّ الرَجُل الذي كان ممسوساً، بَشَّرَ بكُلِّ ما صَنَعَ "**يسوع**" شخصياً إليه. **الرَّبُّ هو يسوع.**

"..أَرسَلَ(يسوع) إثنين مِن تلاميذه وقال لهما: إذهبا إلى القرية التي تجاهكما، فما إن تدخُلانها حتى تجدا جحشاً مربوطاً ما رَكِبَهُ أَحَد، فحُلّا رِباطَه وأتيا به. فإن قال لكما قائل لِما تفعلان هذا؟ فقولا: **الرَّبُّ** محتاجٌ إليه، ثُمَّ يُعيدُه إلى هنا بعد قليل" (مرقس ١١/١-٣)

وبالفِعل هذا ما حَصَل. إستَخدَمَ **يسوع الرَّبّ** هذا الجحش، **والرَّبُّ يسوع** أرجعه إلى مكانِه.

"صوتٌ مُنادٍ في البريَّة: أعِدُّوا طريق **الرَّبّ** واجعلوا سُبُلَهُ قويمة...وكُلُّ بَشَرٍ يَرى **خلاص الله**" (لوقا ٣/ ٤-٦ و أشعيا ٤٠/ ٣-٥)

الكُلُّ يعلم أنَّ هذا الصوت هو صوت يوحنا المَعمَدان. والكُلُّ يَعلَم أيضاً أنَّه كان يُمهِّد الطريق **ليسوع الناصري المُخلِّص**. فالمسيح يسوع هو الرَّبّ الإله الذي تنبَّأ به أشعيا النَّبي والذي مَهَّدَ لبُشْراه الخلاصِيَّة يوحنا المعمَدان.

-لَقَب "إبن الله":

"فقال لهم (يسوع) إنَّ أبي ما يزال يعمل وأنا أعمل أيضاً **فاشتدَّ سعي اليهود إلى قتله لأنّه قال إنّ الله أبوه فساوى نفسه بالله**". (يوحنا ٥/١٧-١٨)

إنَّ لفظة "إبن الله" عند اليهود تُساوي تماماً لفظة "الله"، لذا سَعوا لقَتْلِ المسيح حين قال عَن نفْسه أنه "إبن الله".

فحين كان يسوع يُطلِقُ على نفسه تَسمِيَة "إبن الله" كان يُعلِنُ أنه "الله"، وكان سامعوه يُدرِكون تماماً أنَّه يُعلنُ ألوهيَّتُه.

" فكيف تقولون للذي قَدَّسَهُ الآب وأرسلهُ إلى العالَم: أنتَ تُجدِّف، **لأني قُلتُ إني إبنُ الله**" (يوحنا ١٠/٣٦)

-لَقَب "إبن الإنسان: هذه اللفظة "إبن الإنسان"، لا تشير إلى إنسانية المسيح كما يعتقد البعض، بل إلى ألوهيَّتِه. فكُلُّ مَن رأى يسوع الناصري كان يَعلَمُ أنَّه في حضرة إنسان.

ولقد وَرَدَ هذا اللَّقَب الإلهي ثمانين مَرَّة في الأناجيل، وأصلُهُ يعود لِسِفْرِ دانيال:

" وكنتُ أنظرُ في رؤياي ليلاً فإذا بمِثلِ **<u>إبن إنسان</u>** آتٍ على غمام السماء. فبَلَغَ إلى قديم الأيام وقُرِّبَ إلى أمامه. **وأوتيَ سُلطانا ومَجداً ومُلكاً، فجميع الشعوب والأُمم والألسنة يَعبُدونه. وسُلطانه سُلطانٌ أبديٌ لا يزول**" (دانيال ٧/١٣-١٤)

"إنَّ لإبنِ الإنسان سُلطاناً على الأرض أن يَغفر الخطايا" (متى ٩/٦) لأنَّه الله.

والقرآن نَفْسُهُ يَشهدُ بذلك: "ومَنْ يَغفِرُ الذنوب إلا الله" (سورة آل عمران الآية ١٣٥)

" إنَّ إبن الإنسان هو رَبُّ السَّبت" (متى١٢/٨) لأنَّه مؤلِّف الشريعة وسَيِّدها.

"وأنا أقول لكم: سترون إبن الإنسان جالساً عن يمين القدير وآتياً على غَمام السماء"

(متى ٢٦/٦٤) لأنَّه ديَّان البَشَر كما نرى في (متى ١٦/٢٧) (متى ٢٥/٣١-٣٧)
والله وحده في القُرآن "مالِكُ يوم الدِّين" (سورة الفاتِحة الآية ٤ والصَّافات ٥٣ و الكهف آية ٤٩)
"لأنَّ إبن الإنسان لَمْ يأتي ليُخدَم بل ليَخدِم ويَفدي بِنَفْسِهِ جماعة الناس"
(مُرقُس ١٠/٤٥) (متى ١٨/١١)
فحُكْمُ الموت صَدَرَ ضدَّ الإنسان، وماتَ المسيح "إبن الإنسان" لِكَونِهِ مُمَثِّلاً للبشريَّة.
"الحقَّ الحقَّ أقول لكم: سترونَ السماء مُنفتِحة وملائكة الله صاعدين نازلين فوق إبن الإنسان"
(يوحنا ١/٥١) لأنَّ له الكرامة الإلهيَّة.
"سمع يسوع أنّهم طردوه (طردوا الأعمى الّذي شفاه) فلقيه وقال له: أتؤمن أنت بإبن الإنسان؟
أجابَ ومَن هو يا ربّ فأؤمن به؟ قال له يسوع قد رأيته هو الذي يكلِّمُكَ.
فقال آمنت يا ربّ وسَجدَ له". (يوحنا ٩/٣٥-٣٩)
"ما مِن أحد يعرف الآب إلا الإبن. وما مِن أحد يعرف الإبن إلاّ الآب، ومَن شاء الإبن أن يكشفه له" (متّى ١١/٢٧)
هنا لفظة " الإبن" دون إضافة "الله" بعدها تعني "المسيح"
أيضاً: "إن حَرَّركُم الإبن صرتم أحراراً حقاً" (يوحنا ٨/٣٦)

"ومشيئة الذي أرسلني ألا أهلك أحداً من جميع ما أعطانيه **بل أقيمه في اليوم الأخير**".
(يوحنّا ٦/٣٨-٣٩). مَن يُقِم الموتى في اليوم الأخير، أليس الله؟
والمسيح دُعِيَ أيضاً " إبن الله **الوحيد**" إشارةً إلى لاهوته وبِكَوْنِه لِوَحدِه مِن جوهر الله وطبيعة الله: "ورأينا مَجْدَه مَجْدَ **الإبن الوحيد**" (يوحنا ١/١٤)
"إنَّ الله ما رآهُ أحَدٌ قَط. **الإبن الوحيد** الذي في حِضنِ الآب هو الذي أخبَرَ عنه" (يوحنا ١/١٨)

والمسيح دُعِيَ أيضاً لوحده "كلمة الله" " والكلمة هو الله" (يوحنا ١/١)
ولوحده دُعِيَ "مَلِكُ المُلوك ورَبُّ الأرباب" (سِفر الرؤيا ١٧/٤، ١٩/١٦)
وهذه التسمِية أُطلِقَت على الله في (الرسالة الأولى إلى طيموتاوس الآية ١٥)
كما أُطلِقَ على المسيح ألقابٌ إلهية أخرى ك "إله قدير أب الأبدية رئيس السلام" (أشعيا ٩/٦)

ونحن نؤمن بأُلوهِيَّة الرب يسوع المسيح، لا بِسَبَبِ هذه الألقاب، بل **بِسَبَب:**
وحدانية المسيح و تمايزه في حياته، وأقواله، وأفعاله، وموته، عن كُلِّ مَن سبقه أو لَحِقَ به مِن مؤسسي الديانات.
وبسبب **تَحقُّق أكثر من ٣٥٠ نبوءة** مِن العهد القديم **فيه وحده فقط.**
وأخيراً بسبب **قيامته.** كما أوضحنا سابقاً وسنوضِح لاحقاً عِبر هذا الكتاب.

"قبل أن يكونَ إبراهيم **أنا هو**. فأخذوا حجارة ليرموه بها" (يوحنا ٨/٥٨-٥٩)
لماذا أراد اليهود رَجْم المسيح؟ لأنه أَطلقَ على ذاته نفْس إسم الله عند اليهود: "أنا هو":
"أهيه أشير أهيه" " أنا هو الذي هو" أو "أنا هو الكائن بذاته".
"**أنا والآب واحد**. فأتى اليهودُ بحجارةٍ ثانيةً ليَرجُموه". (يوحنا ١٠/٣٠-٣١)
وهنا أيضاً أراد اليهود رَجْم المسيح لأنه أَعلنَ صراحةً وعلانيةً أنَّ ذاته هي نفْس ذات الله.
"أجابَهُم يسوع: أريتُكُم كثيراً مِن الأعمال الصالحة مِن عِند الآب، فلأيِّ عَمَلٍ مِنها تَرجُموني؟
أجابَهُ اليهود: **لا نَرجُمُكَ للعَمَلِ الحَسَن، بل للتجديف، لأنَّكَ وأنتَ إنسان، تَجعَلُ نَفْسَكَ الله**"
(يوحنا ١٠/٣١-٣٣)
"فتَعلَموا وتوقِنوا أنَّ **الآب فيَّ وأني في الآب**. فحاولوا مَرَّةً أخرى أن يُمسِكوه فأفلتَ مِن أيديهم"
(يوحنا ١٠/٣٨-٣٩).

في الحقيقة، إنَّ الوحي الإلهي لا يُناقِض ذاته، فهو الذي علَّمنا أنَّ الله واحِد. حقاً لا إله إلا الله:
"الله واحِد وليس آخَر سِواه" (مرقس ١٢/٣٢)
"لأنَّ الله واحِد" (روما ٣/٣٠)
"ولكنَّ الله واحِد" (غلاطية ٣/٢٠)
"ليس أحدٌ صالحاً إلا واحِد وهو الله" (لوقا ١٨/١٩)
"الرَبُّ إلهنا رَبٌّ واحِد" (مرقس ١٢/٢٩)
"ولكنَّ الله واحِد الذي يَعمَل كلَّ شيء في جميع الناس" (١ كورنثوس ١٢/٦)
"وأنَّ لا إله آخر إلا الله الأحد" (١ كورنثوس ٨/٤)

والوحي الإلهي نَفْسُهُ عَلَّمَنا، أنَّ يسوع المسيح هو الله نَفْسُهُ مُتَجَسِّداً:

"وكان الكلِمة الله... والكلِمة صار جَسَداً" (يوحنا ١/١ و ١٤)

"الذي هو صورة الله غير المَنظور" (كولوسي ١٥/١)

"ففيه خُلِقَ كلُّ شيء...كُلُّ شيء خُلِقَ به وله، الذي هو قَبْلَ كُلُّ شيء، وبه قِوامُ كُلُّ شيء" (كولوسي ١ / ١٦-١٧)

"فيه يَحِلُّ كُل مِلْء اللاهوت حُلولاً جَسَدِياً" (كولوسي ٢ / ٩)

"ونحن في الحَقِّ في إبنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحَق والحياة الأبديَّة" (١ يوحنا ٥ /٢٠)

"به كان كُلُّ شيء وبغيره ما كان شيء مِمَّا كان" (يوحنا ٣/١)

"إنَّه شُعاع مجد الله وصورة جوهر الله يَحفظُ كُلَّ شيءٍ بقوة كلِمتِه" (عبرانيين ٣/١)

- السلطة اليهودية الدينية: سَمِعَتْ إعتراف المسيح بأُلوهيَتِهِ وأمَرتْ بِقَتلِهِ بسبب هذا الإعتراف:

"فسأله عظيم الكهنة: أأنتَ المسيح إبن المبارك؟ فقال يسوع أنا هو. وسوف ترون إبن الإنسان جالساً عن يمين القدير وآتياً في غمام السماء. فشقَّ عظيم الأحبار ثيابه" (مرقس ٦١/١٤-٦٤)

وحَكَمَ قيافا عظيم الأحبار على يسوع بالموت لأنّه إعترف بألوهيّته.

وأمام الحاكم بيلاطُس البُنطِي في أثناء محاكمة يسوع، إعترف اليهود أنّ يسوع هو المسيح إبن الله: "**يجب عليه أن يموت لأنّه جعل نفسه إبن الله**". (يوحنّا ٧/١٩)

أخَواتي المُسلمات وإخوتي المُسلمين، السماء، الأرض، الله الآب، ملائكته، الشيطان وملائكته، أنبياء الله، رُسُلِهِ، تلاميذ المسيح وتلميذاته، الرومان، الوثنيّون، اليهود الغاضبون والمسيح نفسَهُ. كلّ هؤلاء جميعاً إعترفوا وشهدوا علانيّة أنّ يسوع النّاصري هو المسيح. هو الله المُتجسِّد.

وما تزالون تَسألون بعنادٍ ساذج " أين قال المسيح حرفياً: أنا الله فاعبدوني؟!

وأين نجد في الكتاب المقدّس أن المسيح هو الله؟

إنَّ هذا السؤال باطلٌ وساقطٌ وفاسدٌ **بشهادة المَنطِق** أولاً: لأنَّه لو قال أيّ شخص " أنا الله" فهذا يُعتَبَر مُجرَّد تصريح شخصي لن يُثبت وحده لاهوته.

وبشهادة "إسلام ويب" ثانياً: وهو أضخم موقِع رسمي إسلامي على النِت.

فهذا الموقِع الإلكتروني رَفَضَ رفضاً قاطعاً وبإجماع عُلماء المُسلِمين، نِسبَة الشخص الألوهية لنفْسِه بعبارة "انا الله":

"فإنَّ إثبات الألوهية والرُبوبية ليس مُتَوَقِّفاً أو مُقتَصراً على قَوْلِ: "أنا الله"، بل لا بُدَّ معها مِن أن يكون القائل مُتَّصِفاً بصِفات الكمال التي لا يعتريها أيّ نَقص. فالمسيح الدجَّال الذي سينزل آخر الزمان سيقول أنا الله ومعه أمور خارقة للعادة، ومع ذلك فليس هو الله لأنَّ علامات الكذب عليه ظاهرة..." (فتوى رقم ٢٨٩٦٥٧)

لو طَلَبنا مِن المُسلِمين أن يؤمِنوا بألوهية فرعون مصر فهل يفعلون؟ فهو قال حرفياً:

" أنا ربُّكُم الأعلى" (سورة النازعات الآية ٢٤) (القَصَص الآية ٣٨) (الشعراء الآية ٢٩).

ولو أردنا نحن المسيحيون أن نستخدم نَفْس هذا الأسلوب الساذج مع المُسلِمين لاضَّطروا أن يتخلّوا عن قسمٍ كبير مِن معتقداتهم.

مثلاً أين نجد في القُرآن حرفياً: "أنا الله الأزلي الأبدي"؟ أو "أنا الله العاقِل"؟

أو "مُحمَّد سيّد المُرسَلين"؟ أو "أشرف المُرسَلين"؟

أو "الذبيح هو إسماعيل" أو "مُحمَّد سيأتي مِن نَسْل إسماعيل"؟ أو "القرآن آية للعالمين"؟

وأين نَجِدُ في القُرآن أنَّ "عيسى إبنُ مَريَم قال حرفياً: "أنا هو المسيح"

أننا لا نَجدُ هذه التعابير في القرآن، ومع ذلك يؤمن المُسلِمون بها جميعاً. فهل يَقبَل المُسلِمون التنكُّر لهذه العقائد، وكثير غيرها فقط بِحجَّة أنها ليست مذكورة حرفياً في القرآن؟

إذن حتى لو لَم يَقُل المسيح حرفياً "أنا الله" فهذا لن ينفي حقيقة لاهوته.

تماماً كما لو وقف شخصٌ في عيادة طُبّية لابساً رداءً أبيضاً وقال لك: "أنا تخرَّجتُ مِن كُلّية الطب وأعالج المرضى يومياً في المستشفى".

فهل تتساءل: ما هي يا تُرى وظيفة هذا الشخص؟ طبعاً لا.

إنَّه طبيب حتى لو لَم يَقُل حرفياً "أنا طبيب". إذ أنَّ ما نَسَبَهُ لنفْسِهِ مِن أعمال يُثبت وظيفته كطبيب.

وكذلك السيّد المسيح، فإنه وَلَوْ لَمْ يَقُل حَرفياً: "أنا الله فاعبدوني" فإنَّه حقاً الله، لأنَّ ما نَسَبَهُ لنفْسِهِ مِن أعمال يُثبت ألوهيته. فالمسيح قامَ بجميع الأفعال التي يفعلُها الله، مِن غفرانٍ للخطايا، إلى خلْقٍ مِن العَدَم، إلى سُلطانه على عناصر الطبيعة، إلى إقامة الموتى بكلمة منه...

ونَسَبَ لنفْسِه الصفات الإلهية كلّها. فإنَّه كُلّي المعرفة وكُلّي القدرة وكُلّي الوجود.

وله الدينونة على البشر. كما وإنَّه قَبِلَ السجود والعبادة مِن البشر.
وهذا كافٍ لإثبات شخصيته كالإله المُتجسِّد.
الإستدلال إذن على الألوهية مِن مُجرَّد نطق حرفي لعبارة "أنا الله" أو عدم نطقها، لهو إستدلالٌ باطل خالٍ مِن المنطِق.
إذن قال المسيح صراحة وعلانية أنه الله كما أوضحنا، لكنه لَمْ يَقُل "إعبدوني" لعدم الحاجة إلى هذا الطِلَب، فرئيس جمهورية بلد ما، لا يجول بين شعبه طالباً منهم أن يَجلُّوه ويحترموه لأنه قائدهم، فإجلاله واجِبٌ عليهم، واحترامهم له أمرٌ طبيعي ومُتوقَّع دون الحاجة إلى طلبه.
فهلاَّ تكفّون عن المطالبة بهذا التصريح الساذج رأفةً بِكُم، وبكرامتكم الفِكرية، وتحاشياً للإحراج؟ مِن الغريب حقاً أنَّه ما يزال الإسلام والمُسلِمون حتّى اليوم يعتبرون المسيحيين كفرةً وكَذَبة لإيمانهم بأنّ يسوع المسيح هو إبن الله حقاً. ويُكفّرونهم لإيمانهم بالتجسُّد الإلهي والفداء. وغابَ عن بالهم أنَّ إبراهيم لو رفضَ حَمَل الله الذي أرسله له فِداءً وعوضاً عن إبنه اسحاق، ما كان البديل إلا ذَبْحِهِ لإبنه.
" فلو كُنتَ يا رَبُّ للخطايا راصداً، فَمَن يَثبُت يا سَيِّد؟ لأنَّ مِن عندك المَغفِرة" (مزمور ١٣٠/٣) فكلُّ إنسان يرفض المسيح، حَمَل الله حامِل خطايا العالَم، يَحْكُمُ على نفسه بالذبح والموت الأبدي. فَلَيْتَكُم تَعقلون رحمةً بكم وبأبديتكم.